بلا أجنحة

الكتاب: بلا أجنحة

المؤلف: رضا محمود

الغلاف: حسن العربي

تنسيق داخلي: عبدالعليم مِنا

إخراج فني: عبدالعليم مِنا

الطبعة الأولى: ٢٠٢١

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٣٩٠٣٥

الترقيم الدولي: ٤ - ٥٢١ - ٣٤٥١ - ٢٤٨١ - ٩٧٨

المدير العام: مروة المصري

التليفون: 01100528522

لمراسلة الدار: darnebogh@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

جميع الحقوق محفوظة ©

نبوغ للنشر والتوزيع

بلا أجنحة

رواية

رضا محمود

دار نبـــوغ للنشر والتوزيع

بلا أجنحة

المقدمة....

يحتاج الحب لأجنحة ، يتجاوز بها كل العقبات ، يمزق بها كل الأقنعة. يحلق فوق كل الصدمات. يرتفع ويعلو يصل لدار السلام.

يحتاج العلم إلى أجنحة . كي يعبر فوق قيعان الفشل. يجتاز بحار الإفساد. ويهبط في واحة الخير للأنام.

يحتاج الإيمان لأجنحة. يضرب بها كل الزلات. يتجاوز جبال المعاصي. ويعبر فوق هضاب الكفر . ويحط في أرض السلام

بلا أجنحة .. يهوي الحب بين براثن الحقد.

بلا أجنحة .. يسقط الإيمان بين مخالب الكفر.

بلا أجنحة .. لا حب .... لا أمل ... لا حياة.

لا إيمان ... لا نجاة ... لا جنة.

رضا محمود

****

(١) شيءٌ عجيب

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ
بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

الأنفال: ٦٥ - ٦٦

على الرغم من أن هذه الآيات قد مرت عليه كثيرًا، إلا أنه أول مرة يتدبر معناها.

فراح يفكر فيها مندهشًا:

- " كيف يتمكن عشرون رجلًا أيًا كانت قوتهم أن يغلبوا مائتين؟ كيف لرجل

بسيف واحد أن يواجه عشرة سيوف ؟ والله سبحانه وتعالى يميزهم بالصبر فقط لا بقوة ولا مهارة ولا شجاعة . فلو كان هذا قولا لغير الله ما صدقه. فما دام قول الله عز وجل ، فما له إلا التسليم . ولكن هذا لا يمنع من الفهم . سيسأل الإمام بعد انتهاء الصلاة عن السر الكامن وراء هذه القوة. وبدأ يحاول التركيز في صلاته ، إلا أن الصورة ما ذالت تعابث مخيلته ، صورة رجل بسيف يتصدى لعشر سيوف.

وأخيرًا سلم الإمام معلنًا انتهاء صلاة الفجر. انتظر دقائق حتى انتهى من أذكار الانتهاء من الصلاة، وهو يتطلع إلى ذلك الشيخ الوقور محاولاً استجماع شجاعته. اقترب من الشيخ الوقور الذي اشتعلت لحيته الطوية شيبًا. مما أضفى عليه رهبةً ، خاصةً مع تلك السكينة وهذا الخشوع اللذان يطلان من عينيه ومن كل ملامحه.

جثى الشاب على ركبتيه بين يدي الشيخ بأدب شديد قائلا بصوت أقرب للهمس:

-" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته."

ردَّ عليه الشيخ الوقور السلام بصوت خافت رزين . ورفع بصره ينظر إليه.

كان شابًا بسيطًا في ملابسه . مما يوحي بحالة متوسطة ، مع أناقة بسيطة غير متكلفة . شعره قصير يميل للصفرة مع شارب أنيق يعتني به. قوامه رياضي فيه قوة واعتدال. رأى الشيخ في عينيه رجولة وقوة شكيمة واعتداد، وأدب كبير.

قال الشاب بأدب خالطة كثير من الحرج:

-" هل يمكنني أن أسأل سؤالا يا شيخنا ؟ ولكن أتمنى أن تفهم قصدي من السؤال؟"

ابتسم الشيخ ابتسامة أبوية حنون وقال مشجعًا:

-" سل يا ولدي ما بدى لك. وإن شاء الله سأتفهم قصدك."

اعتدل الشاب في جلسته أو حاول . مجرد حركة يتخطى بها خجله وقال مفكرًا في كل كلمة :

-" قال تعالى في الآيات التي قرأتها فضيلتك منذ قليل في الصلاة

(إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ)."

صمت ليزدرد لعابه وهو يحاول ترتيب كلماته حتى لا يقع في أي خطأ، قال بتردد:

-" كيف يستطيع رجل أن يتغلب على عشرة؟ كيف يستطيع أن يواجه عشرة سيوف في وقت واحد؟ أنا أصدق الله عز وجل . وأعلم أن الذي يكذب الله كافر. ولكن أريد أن أفهم الكيفية."

قالها ورفع عينيه إلى الشيخ يرى رد فعل كلماته في ملامحه. طمأنه الشيخ بابتسامة متفهمة وهو يجيب :

-" يجيب سؤالك ربك عز وجل في قوله: وما النصر إلا من عند الله. النصر لا يأتي

بالقوة ولا بالشجاعة ولا بالمهارة. هل قرأت كتبًا في السيرة يا بني؟"

أجابه الفتى بشيءٍ من الحياء:

-" لا يا سيدي . كل ما أعرفه ما درسته في دراستي المدرسية. "

حاول الشيخ التخفيف من حرج الشاب:

- " ليست مشكلتك وحدك يا بني هذه مشكلة الأجيال المعاصرة كلها وليست جيل واحد حتى. فالعلم صار محتوى الكتب المدرسية فقط وهي بدورها خالية من العلوم الشرعية الواجبة . التربية الإسلامية مادة ضعيفة المحتوى هامشية لا تنال أي اهتمام. والنقيض في العلوم الأزهرية كم كبير يفوق قدرات التلاميذ مع ضعف في الرقابة والمدرسين والنتيجة ..... لا شيء . عقول فارغة وعلم بلا عمل ."

صمت لبرهة ثم رجع للموضوع الأصلي قائلا:

-" ماذا تعرف يا بني عن غزوة بدر الكبرى؟"

صمت الفتى قليلا ثم قال :

-" أنها كانت أول غزوة للمسلمين ضد الكفار . وكانت في العام الثاني للهجرة على ما أتذكر."

ابتسم الشيخ بإعجاب قائلا:

-" أحسنت يا بني . إنها كانت في العام الثاني للهجرة في اليوم السابع عشر من

رمضان. هل تعلم عدد المسلمين وعدد الكفار؟"

-" اعتقد أن عدد المسلمين كان حوالي ثلاث مائة . وعدد الكفار حوالي الألف . أو ما يقرب من ذلك."

اعتدل الشيخ في جلسته وقد بدأ يتحمس للحديث مع الفتى وقد توسم فيه خيرًا كثيرًا .وقال بحماس بدأ يدب في صوته:

-" بالضبط يا بني . كان عدد المسلمين ثلاث مائة وثلاثة عشر والكفار ألف . ولكن إذا نظرت في تسليح الجيشين تجد أن الفرق بينهما كبير . فجيش المسلمين لم يكن فيه إلا فرسان والثاني مائتي فرس . هل ترى الفرق؟ وانتصر المسلمون انتصارًا ساحقًا . وغيرها من المعارك والغزوات . بل هل تعرف شيئًا عن معركة مؤتة؟ "

أطرق الشاب بحياء بعد أن أشار بوجهه أن لا. فقال الشيخ متابعًا كأنه لم يكن ينتظر إجابة:

-" كان عدد المسلمين فيها ثلاثة ألاف وعدد الروم..... "

صمت برهة ليثير فضول الشاب قبل أن يقول :

-" مائتي ألف ."

اتسعت عينا الفتى دهشة وقال بعدم تصديق:

-" لا تقل لي أن المسلمين صمدوا ولو لساعة واحدة .. مستحيل ."

اتسعت ابتسامة الشيخ قائلا:

-" كان عدد شهداء المسلمين ثلاثة عشر، وعدد قتلى الروم ثلاثة آلاف وثلاثة مائة وخمسين."

قال الفتى بذهول :

-" غير ممكن . وهل انتصر المسلمون ؟"

-" أن يصمد المسلمون لأيام وينسحب جيش الروم نتيجة لخدعة خالد ابن الوليد رضي الله عنه، التي خدعهم بها ، وأقنعهم بوصول مدد للمسلمين. ويعود بجيشه سالمًا . ألا يعد هذا نصرًا."

-" وأي نصر؟ بل خير نصر. فهمت الآن أنهم منصورون بفضل الله . ولكن لماذا؟ لماذا يؤازرهم الله كل هذه المؤازرة؟"

قال الشيخ مبتسمًا:

-" إن تنصروا الله ينصركم " إن تنصر الله فيكون هدفك إعلاء كلمة الله. إن تنصر الله بإقامة حدوده واجتناب نواهيه. إن تتلو قرءان الله وتحفظه وتفهمه وتعمل به. ينصرك الله .

قال الفتى بارتياح:

-" بارك الله فيك يا شيخي . لقد تعلمت منك اليوم شيئًا عظيمًا . أدعوا الله أن ينفعني به . "

ربت الشيخ على ركبة الفتى قائلا :

-" لم أتعرف عليك يا بني . لم أرك هنا من قبل . من أنت ؟"

قال الفتى وقد زال عنه توتره وخجله:

-" اسمي (هاني عامر) في كلية التربية الفرقة الرابعة. أسكن قريبا من هنا . ولكن كنت أصلي دومًا في مسجد بجوار بيتي . وتأخرت قليلا اليوم فوجدت الصلاة انتهت وسمعت إقامة الصلاة في هذا المسجد فهرعت إلى هنا . وهذا لحسن حظي . وإن شاء الله ستراني هنا كثيرا. "

ربت الشيخ على ركبة هاني للمرة الثانية بحنان قائلا:

-" بارك الله فيك يا بني ."

استأذن هاني منصرفًا. وطوال الطريق وذهنه يسبح في عالم الخيال يتخيل نفسه في زي الفرسان يمتطي جوادًا ويحمل سيفا ويخوض حربًا ضروسًا.

بدأ يسلك الشارع المؤدي إلى بيته، وهو غارق في خيالاته. يتخيل نفسه يخوض حربا ضروسًا بالسيف ويواجه وحده عشرين رجلا يتفادى طعنة من هذا ويطعن ذاك ويفر ويكر. وعاد يسأل نفسه بحيرة:

- " ترى هل يمكنه يوما أنا يفعل ذلك حقيقة ؟! "

انتزعه من شروده صوت قاس غير مألوف:

- " أنت هاني عامر ؟ "

أجفل هاني وتوقف ملتفتا إلى صاحب الصوت. الذي لا تبعث ملامحة شيئا من الارتياح وحدق فيه بتوتر قائلا:

- " أظن ذلك هل من خدمة أسـ..... "

توقف هاني عن الكلام وتراجع متحفزًا إذ رأى شخصًا يقترب بسرعة من يساره وقبل حتى أن تكتمل التفاتته شعر وكأن صاعقة هوت على مؤخرة عنقه فأظلمت الدنيا أمام عينيه ، وهوى بين الثلاثة رجال فاقدًا الوعي.

وشقت أشعة الشمس الوليدة طريقها إلى الأرض . معلنةً مولد يوم جديد.

سالت دموع هدير على وجنتيها حارة على الرغم من برودة الجو . قلبها ينتفض بين ضلوعها في حسرة ومرارة ولدتا ألمًا شديدًا. تتجول في حديقة منزلها رغم برودة الطقس خاصة في هذا الوقت المبكر من اليوم، فالشمس تلقي بأول أشعتها تتسلل واهنة من بين السحب. ورغم الهواء البارد الذي يخترق ملابسها ليضرب جسدها بقسوة كانت تشعر باختناق شديد . ألن يعود والدها لرشده أبدًا. هل سيظل على حاله هذا دائمًا. يتأرجح بين العقل والجنون. بين الحنان والقسوة. وأنَّى له أن يعود

كسابق عهده، وحوله شرذمة من أصدقاء السوء علي رأسهم أخوه (جابر) . عاد ليلة أمس قبيل الفجر كعادته. وكعادته أيضًا كان مخمورًا. اشتعلت بينه وبين أمها مشاجرة عنيفة. لم تتدخل في البداية فقد اعتادت ذلك .ولكن عندما انهال على أمها ضربًا، لم تستطع أن تمنع نفسها اندفعت إلى الردهة الواسعة حيث يتشاجران . وجدت أباها قد فقد صوابه تمامًا. يكيل لها الضربات بيديه وقدميه ويدفعها ليطردها من البيت. حاولت أن تدافع عن والدتها فنالت لطمة قوية على وجهها أفقدتها الوعي . استعادت وعيها منذ قليل في حجرتها ورأسها على فخذ أمها. سقطت دمعة مع عين أمها على وجهها . تلفتت حولها فلم تجد أباها. فاعتدلت وهي تسأل أمها عن أبيها. وأتتها صيحة أبيها الغاضبة المجنونة :

-" لا أريد ان أراك في منزلي عندما أعود . هل تسمعين؟ "

لم تتفوه أمها بكلمة ولا هي أيضا . لم يعلو في الغرفة إلا صوت بكاءهما . احتضنت هدير أمها قائلةً من بين دموعها:

-" ما الذي حدث يا أمي ؟ لماذا فعل أبي ذلك ؟"

ضمت (رحمة) ابنتها هدير إلى صدرها بحنان شديد وهي تقول بصوت متهدج متقطعٍ باكٍ:

-" لقد تحملت كثيرًا من أجلك يا بنيتي . ولكنها النهاية . لم أعد أحتمل ."

ولم تتفوه بكلمة بعد ذلك . ظلتا تبكيان حتى أذن الفجر . بعد أن فرغا من الصلاة ، راحت هدير تتوسل لأمها ألا تغادر فأبوها لن يسمح لها بالذهاب معها. وهي لن تستطيع أن تعيش بدون أمها . رضخت أمها لرغبتها في النهاية . فتركتها هدير لتنام وها هي تتجول في الحديقة باكية رغم برودة الجو .

وصلت لمؤخرة المنزل حيث حظيرة الدواجن ، فهوت جاثية على ركبتيها والدموع تنهمر من عينيها وقالت بصوت متهدج من البكاء:

-" لماذا يا أمي ؟ لماذا اخترت هذا الرجل ليكون أبًا لي ؟ كيف وافقت عليه زوجًا وأنتما نقيضين في كل شيء."

دفنت وجهها بين كفيها وأجهشت في بكاء مرير. وانتفضت فجأة في رعب . وفتحت عينيها عن آخرهما وهي تتراجع بجذعها في رعب. لقد مس يدها شيء ناعم كأنه جسد إنسان . فيه دفئ غريب رغم البرد. نظرت إلى صاحب اللمسة بذهول سرعان ما تحول لتنهيدة ارتياح. وإن ظل في نفسها شيئًا من الدهشة . إنها زهرة صغيرة ولكنها غريبة جدًا . وجميلة جدًا. وذابلة جدًا . وبعيدة عن أحواض الزهور . تأملتها هدير لحظات بدهشة ، ثم أمسكت إحدى وريقاتها الشريطية الطوية الذابلة والجفاف بدأ يزحف على أطرافها. ما الذي أتى بكِ أيتها المسكينة إلى هذا المكان . ترى لو سقيتك ماءً الآن ، ستعودين للحياة. تحمست للفكرة وكأنها تبحث عن أي شيء يشغلها عما هي فيه . فأسرعت تحضر لها المياه. وما هي إلا

دقائق قليلة حتى كانت تروي الزهرة بالماء. وما كانت تتخيل أن تنتزعها الزهرة العجيبة من أحزانها بهذه الطريقة . لقد انتزعتها من أحزانها انتزاعًا. فما حدث للزهرة عندما ارتوت بالماء كان عجيبًا ، وغير طبيعي على الإطلاق. تلاشى الجفاف بتدرج سريع وكأن الماء يأكله .وبدأت ألوان الزهرة تزدهر وتدب فيها الحيوية وساقها تنتصب وكأنها إنسان ينهض بإعياء بعد ثُباتٍ عميق. شعرت وكأنها تشاهد فيلما تسجيليًا لعودة الحياة للزهرة صور على مدار أيام ويعرض أمامها في ثوان معدودات. وانبعثت من الزهرة رائحة ساحرة لم تشم في حياتها أو حتى تتخيل ريحًا أطيب من تلك الرائحة .

انتزع أحد الرجال الثلاثة مدية من جيبه ، وضغط زرًا في مقبضها، فبرز نصلها اللامع تحت أشعة الشمس الواهنة بصوت معدني مخيف. فقال آخر بتوتر :

- " أسرع يا حمدي لقد مللت هذا العمل."

أردف الثالث في ضجر:

- " أشعر وكأننا رجال عصابات ليس ..... "

قاطعة حمدي بغضب:

- " ما لكم يا رجال ؟ من يرغب في ترك عمله فليتفضل . لن يتشبث به أحد وسنجد غيره كثير . فمرتباتكم يسيل لها لعاب من هم أقوى منكم."

قال الثاني بارتباك:

- " أنا آسف لم أقصد أن ..... "

قاطعه مرة أخرى بغضب:

- " هيا امسك يد هذا الفتى حتى نمزق يده هو الآخر. هيا. "

انحنى الرجلان على (هاني) فأمسك أحدهم يده واستعد صاحب المدية لطعنها و.....

- " أنتم هناك . ماذا تفعلون أيها الأشقياء؟ "

تحفز الرجل الواقف والتفت إلى مصدر الصوت بسرعة وهب حمدي والآخر واقفين بحده مواجهين صاحب الصوت ذلك الشيخ الكبير بلحيته البيضاء الطويلة التي أضفت عليه مهابة زادها صوته القوي الصارم:

- " ما الذي تحاولون فعله بالضبط ؟ "

قالها وهو يواصل الاقتراب منهم وفي عينيه نظرة غضب مخيفه.

لوح حمدي بمديته في وجه الشيخ عمار وقد لاحظ حركات رفيقيه المتحفزة المتوترة وقال محاولا تخويف الشيخ الذي يواصل اقترابه وتثبيت قلب صاحبيه:

- " تراجع أيها العجوز. ليس هذا من شأنك . تراجع وإلا أنهيت ملل قبرك . "

قال الشيخ عمار بلهجته الغاضبة المنذرة وهو يواصل الاقتراب:

- " أنت يا فتى لا تجرء على شيء أنت جبان. أنت ..... "

تقدم حمدي إليه بغضب في حين استل صاحباه مديتيهما وهو يصيح بغضب :

- " كيف تجرؤ أيها الشيخ الوقح؟ ستدفع ثمن وقاحتك هذه غاليا."

رفع يده بالمدية في يده وكاد يهوي بها على صدر الشيخ عمار لولا أن قبضت قبضة قوية على معصمه وجذبه صاحبها بقوة وألقاه على صاحبيه اللذان حاولا الهجوم بدوريهما.

اعتدل الثلاثة بسرعة وتطلعوا إلى هاني الواقف أمام الشيخ عمار بدهشة في حين قال هو بغضب:

- " ستدفع أنت ثمن وقاحتك إذا تطاولت على سيدك."

قال حمدي وهو يتخذ وضعا قتاليا وزميلاه يحاولان تطويق هاني من الجانبين:

- " وأنت من سيجبرني على دفع الثمن . ها ها ها ها . إنك لم تحتمل إلا ضربة واحدة من قبضتي . ماذا تظن نفسك فاعلا؟"

ابتسم هاني ساخرا وهو يقول:

- " الغدر يجدي أحيانًا وليس دائما . كما أن الغدر متاح دائما والجبناء فقط يغدرون . والجبناء دائما يُقهرون بسهولة ."

انقض الثلاثة دفعة واحدة على هاني من الجهات الثلاثة وهوت طعناتهم على هاني ولكن .....

لم تصب طعنة هدفها وتوالت الطعنات ثم توالت . ولكن هاني كان يتحرك بسرعة ومهارة وكأنه ذبابة مدربة جيدا على التفادي . ويتواثب مبتعدا برشاقة وخفة عجيبتين.

اتسعت عينا الشيخ عمار ذهولا واشتعل الثلاثة غضبا وهوت قبضة هاني على أنف أحدهم. لم تكن بالقوة الكافية لتخرج الرجل من المعركة. وتوالت ضربات هاني. وهوى الشيخ عمار على رأس أحدهم بحجر. ولمح حمدي شابان يندفعان نحوهم من بعيد. فأدرك أن المهمة فشلت. فصاح في رجاله، وانطلقوا هاربين. كاد هاني ينطلق خلفهم لولا أن استوقفه الشيخ عمار:

- " دعهم يا ولدي من الخطر مطاردة هؤلاء. الحمد لله أن نجاك منهم. "

توقف الشابان أمام هاني والشيخ عمار وسأله أحدهما باهتمام :

- " هل أنتما بخير؟ هل أصابوكما بمكروه ؟

تفحص الشيخ عمار جسد هاني وهو يساله بقلق:

- " هل أنت بخير يا بني . "

أجابه هاني بامتنان حقيقي:

- " الحمد لله يا والدي . لولاك و هذان الشابان الشجاعان، الله وحده يعلم ما كان يمكن أن يحدث . الحمد لله ."

قال أحد الشابان:

- " هل سرقوا منكما شيئا؟ "

تحسس هاني جيوبه بسرعة ثم تنهد بارتياح قائلا:

- " الحمد لله ..... ولكن ..... هم لم يبغوا السرقة. لقد سألني أحدهم عن اسمي."

قال الشيخ عمار :

- " أعتقد أنهم أرادوا قطع يدك ."

اتسعت عيني هاني والشابان بدهشة شديدة.

وقف هاني أمام مدربه عادل وتساءل بدهشه وهو يحرك أصابعه أمام عيني مدربه:

- " إنها سليمة . هل كنت تتوقع شيئا آخر؟"

تنهد عادل بارتياح قائلا :

- " الحمد لله أنها كذلك. "

جلس هاني إلى جواره وهو يقول بانفعال :

- " إذن يمكنك التفسير لي . من هؤلاء ؟ لماذا أرادو إصابة يدي ؟ وكيف عرفت بهذا الأمر ؟ !!!!

- " السؤال الأول مجهول. والثاني تنحيتك وفريقك من المسابقة . والثالث إجابته هناك ."

قالها وأشار إلى ياسر وعلي رفيقي هاني في الفريق . والقادمان نحوهما وكلاهما تغطي يمناه الضمادات الطبية.

تطلع إليهما هاني بفزع وحزن وغضب قائلا:

- " يا إلهي ! لقد كنت محظوظا بالفعل . يا له من حقير . وهل يسعد عندما ينتصر بهذه الطريقة؟! "

ربت عادل على ركبة هاني وهو يقول:

- " لسوء حظهم أنك نجوت فذهبت خطتهم سدى. "

هب هاني واقفا وهو يصيح بغضب:

- " كلا يا كابتن . أنا لا أخوض منافسة قذرة كهذه. أنا أحببت رياضة المبارزة . لأنها رياضة النبلاء، رياضة الفرسان والأمراء . وما دام خصومي لا يقدرون رفعة هذه الرياضة، فما قيمة نزالهم .؟"

تطلع ياسر إلى عيني هاني مباشرة وفرت دمعة من إحدى عينيه وهو يقول :

- " وتحقق هدف خصمك ؟ أنسيت كلامك لنا ؟ ألست أنت القائل دائما : (أفسد فرحة خصمك بابتسامتك حتى ولو انتصر عليك بالفعل.)؟"

حطمت دمعة ياسر غضب هاني. وعانقت عناده. وسقطت به أرضا.

ساد الصمت لحظات وهاني يعصر عقله وقلبه ليختار أيكمل منافسة صارت حربا غير شريفة؟ أم يخسر أصدقائه؟

اعتدل عادل واقفا في مواجهة هاني وهو يقول :

- " تعرف أننا تدربنا أكثر من أي فريق آخر وتعبنا كثيرا . فهل يسهل عليك أن تلقي كل هذا وراء ظهرك. "

ظل هاني صامتا عاقدا حاجبيه في صراعه الفكري حتى قال عادل:

- " بالمناسبة توصلت بالأمس إلى تكتيكات جديدة لا أظنك قادر على مجابهتها."

تطلع هاني إليه في تحد وقال بإصرار شديد:

- " حسنا يا رفاق. سأخوض هذه المعركة، ولكن سترون هاني جديد. سأخوضها لأعرف هذا الحقير. وألقنه أصعب دروس حياته. وبالنسبة لتكتيكاتك يا كابتن، فلن تجدي مع التكتيك الذي ابتكره هاني عامر توًا."

ربت (علي) على كتفه وهو يقول بابتسامة شاحبة:

- " أحب هذا الغرور فيك."

ارتدى كل منهما ملابسة الواقية وقناعه الواقي وأطلق ياسر إشارة البدء. من المفترض أن تكون الجولة أربع دقائق أو إحراز خمس لمسات ولكن هاني تحرك بسرعة ومرونة وانقض وتفادى طعنة عادل بوثبة عالية تجاوزت سيفه وهوى بسيفه على قلب عادل مباشرة . وقبل أن يفيق عادل من ذهوله كان هاني ينقض الثانية والثالثة وانتهت الجولة في خمسة عشر ثانية . وصفقوا جميعا مبهورين. حتى علي وياسر، ثم تأوها بألم.

عانقه عادل وهو يقول بسعادة لقد صدقت ياصديقي. هذا هاني جديد سيريهم كيف يكون النزال.

مر اليوم الدراسي على هدير طويلا كئيبًا. لم تفقه كلمةً واحدة في حصة واحدة. ما جرى ليلة أمس ورغبة أمها في طلب الطلاق. صار تهديدًا بدمار حياتها. ترى مع من تعيش إذا تم الانفصال. تعيش مع أمها حبيبتها وصديقتها الوحيدة . هذا ما ستختاره بالتأكيد، ولكن من أين ستأتي أمها بنفقاتها الكبيرة.

من جدها الفقير الذي يكفيه معاشه بالكاد ؟ إنها في الصف الثالث الثانوي. لذلك تحتاج لمبلغ ضخم لدروسها الخاصة فقط .لن يستطيع جدها مهما حاول أن يدفع ربعه حتى. ولا يمكن أن تتخيل أن تعيش مع هذا الرجل الذي هو والدها وحدها. خرجت من بوابة المدرسة حزينة واجمة. وما أن رأت وجه ذلك الشاب الذي

ينتظرها في سيارته، حتى قالت بصوت مختنق خافت، تحدث نفسها به فاض من حروفه المقت والحنق:

-" وكأن هذا ما ينقصني."

ترجل الفتى من سيارته الفارهة التي تخبر مع ملابسه عن غنىً فاحش. ونادى عليها وهو يتقدم نحوها:

-" آنسة هدير . لو سمحت."

شعرت بأنفاسها تصرخ بتوتر رافضة الخروج من صدرها. وقلبها يخفق بخوف. وكادت تتجاهل صاحب الصوت وتبتعد ، لولا أن تحرك هو بسرعة واعترض طريقها قائلا:

-" لماذا لا تحاولين سماعي فقط ؟

تلفتت حولها بتوتر وارتباك وكثير من الخوف. وقالت بصوت وضعت فيه كل مشاعرها فخرج قويا قاسيا:

-" ما الذي تريده مني بالضبط؟ لقد انتهى الأمر . ألم يبلغك رفضي لك؟"

-" نعم . أبلغني والدك أنك ترفضين.. ولكن أريد أن أتكلم معك. لماذا ترفضيني؟

قالت بحدة وصرامة:

-" لا كلام بيننا .لقد انتهى الأمر. أنا لا أرغب في الزواج لا منك ولا من غيرك."

قالتها واستدارت وتحركت في الجهة الأخرى. أمسك معصمها ليمنعها من الابتعاد قائلا:

-" خمس دقائق فقط. يمكنني أن ....."

قاطعته بصيحتها المرعوبة الغاضبة:

-" هل جننت ؟ كيف تمسك يدي هكذا؟ دع يدي في الحال.

التفتت كل العيون إليهما وتوقفت التلميذات المغادرات للمدرسة والمارة في الشارع. فقال بغضب :

-" لماذا تصيحين هكذا؟ قلت لكي سنتكلم خمس دقائق شئت أم أبيت. لا أحد يقول لي لا."

-" أنا أقول لك لا. لن تتكلم معك رغمًا عنها."

التفتت كل العيون إلى الشاب قائل العبارة الواقف خلف الفتى الثري. كان شابًا يميل قليلا إلى الضآلة. ولكنه متين البنية . بذراع واحدة . ذراعه الأيمن مبتور من الكتف. نقل الشاب الجديد بصره إلى هدير المنتقبة ضئيلة الجسد، مرتجفة كأنها عصفور بلله المطر. لم تتخيل يوما أن توضع في هذا الموقف. وقال لها بأدب وثقة ليطمئنها:

-" هل يضايقك هذا الفتى يا أختاه؟"

وقعت في بحر حيرة ماذا تجيبه وماذا يفعل هو مع أشرف مفتول العضلات. ولم يمهلها أشرف لتتخذ قرارًا. دفع الشاب بخشونة بيده الأخرى وهو يصيح به:

-" ابتعد أيها الأكتع من هنا . إنها ابنة عمي وخطيبتي . لا شأن لك بـ ..... "

قاطعته هدير بصوتٍ باكٍ:

-" إنه ليس خطيبي. "

ضغط على معصمها بقسوة فانحنت وهي تصرخ بألم. خرج مدرسان من المدرسة واندفعا نحوهم في حين وثب شابان من سيارة أشرف. قبض ذو الذراع الواحدة على معصم أشرف وضغطها بقوة أجبرت أشرف على تحرير يد هدير التي تطلعت إلى وجه أشرف الذي تأوه في ألم. قال لها الشاب بصرامة :

-" اذهبي أنت الآن."

تفادى لكمة من أشرف ثم قال:

-" لا أريدك أن تشاهدي عظامًا تسحق"

وقف الجميع مبهورين والشاب بذراع واحدة وساقين يضرب ثلاثة أقوياء بلا رحمة وبسهولة إلا هدير التي أسرعت مبتعدة.

(٢) قرار صعب

ترتجف بشده. وكأنها عصفورة بللها المطر. هل ترتجف بردا أم ترتجف حزنا وألما وبكاءً. كانت لا تزال في فراش ابنتها هدير . لم تذق طعم النوم طيلة الليل. ولم يتوقف نهري دموعها عن الجريان على خديها.

قضت ليلتها تقاذفها أمواج من الحيرة والحسرة. ولكنها حسمت قرارها ، واتخذت القرار الذي ظلت طوال عمر ابنتها هدير تفر منه.

ولكنها ما عادت تحتمل . بلغ السيل الزبا . شعرت بخطواته تقترب . تسارعت نبضات قلبها. وبدأ يضخ في عروقها شعورًا جديدًا، غضبًا صار يتدفق مع دمائها كلما اقتربت خطواته من الباب . اعتدلت جالسةً على الفراش وجففت دموعها وعقدت حاجبيها الرقيقين بغضب و.....

فتح الباب وولج دون استئذان. وقف يحدق فيها لحظات في صمت وهي تنظر إلى النافذة المغلقة، تعابثها رياح الشتاء بأوراق الشجرة المجاورة للنافذة. قال بلهجة صارمة :

- " ألم أقل لكِ لا أريد أن أراكِ هنا ثانيةً ؟ "

قالت دون أن تنظر إليه تجاهد لتكون صارمة حازمة:

- " وأنا أيضًا لا أريد أن أراك ثانيةً . أريد الطلاق. "

صدمته الكلمة. لم يتوقعها قط. إنها المرة الأولى التي تطلب فيها زوجته الطلاق . المرة الأولى منذ سبعة عشر عاما مدة زواجهما . لم يجد ردا. صمت وهو يتأملها بمزيج من الغضب والخوف والصدمة. رفعت عينيها إليه وقالت بسخرية:

- " ترى هل صدمتك كلماتي ؟ "

ارتبك وقال وقد بدأ صوته يلين :

- " كيف طاوعك لسانك يا رحمة على نطق تلك الكلمة. هل ... "

قاطعته صارخةً بغضب هادر:

- " كفى . كفى يا رشدي . لم أعد أحتمل . تندهش لأني طلبت الطلاق ؟ وكيف طاوعتك يدك لضربي بهذه الوحشية أمس ؟ وكيف طاوعك لسانك على طردي من البيت ؟

اقترب منها وقال باستعطاف:

- " لقد استفذني أسلوبك في مخاطبتي و ..... "

هبت واقفة وأشارت بيدها تستوقفه وتقول بحزم:

– " لقد اتخذت قراري . ولن أناقش. لم أعد أحتمل عصبيتك المفرطة التي تلتهم عقلك كليًا . لم أعد أحتمل سوء خلقك . لم تعد رشدي الذي تزوجته. لقد خدعتني لتحصل علي، كأي شيء يعجبك فتسعى لامتلاكه، وما أن تزوجنا حتى اتضحت لي الصورة تدريجيا . طارت لحيتك . وصارت صلاتك استجابة لضغط

مني فقط . ثم ضاعت كليا. رأيتك على حقيقتك، ولكن بعد فوات الأوان، بعد أن رزقني الله منك هدير. قلت لعل الأيام تصلحك ، ولعلي أستطيع ، ولكن ...

نظرت إليه باشمئزاز ثم استطردت :

- " ولكنك ازدت سوءا . و .... انتهى صبري . لو سمحت طلقني ."

قالتها وانصرفت من أمامه مندفعة إلى حجرتها ولكنه جذبها من شعرها بقسوة قائلا:

- " كلا يا رحمة . أنا لن أطلقك . أنت تظنين نفسك أفضل مني في كل شيء . دائما تنظرين إلي كأنك واعظة وأنا فاسق. تعامليني كأنك معلمة وأنا تلميذ . لم أر منك يوما حبا."

حاولت أن تخلص شعرها من بين أصابعه وهي تقول :

- نفس النتيجة . أنا لم أحبك أنت لم تحبني . علاقتنا بلا أجنحة. للزواج جناحان لن يحلق فوق واحة السعادة إلا بهما. الحب والدين . ونحن نفتقد الاثنين ."

جذبها بقسوة أشد وهو يصيح فيها :

- " كفاك فلسفة . مللت من أسلوبك . وكلامك الاستعراضي الذي يشعرني بأني جاهل.

صفعها بقوة وألقاها أرضا وصرخ فيها:

- لا طلاق . ولا خروج من هنا . سأحبسك هنا ككلبة .

قالها وخرج مغلقا الباب عليها بالمفتاح.

تركت هدير أباها يتكلم مع ذلك الشاب ذو الذراع الواحدة الذي أنقذها من ذلك المدعو أشرف أمام قسم الشرطة . وركبت سيارة أبيها بضجر . فتحت زجاج السيارة وتأملت أباها . تراه الآن رجلا وسيما ذو قوام رياضي ممشوق هادئا رزينا يتكلم بثبات ووقار . صورة تختلف بشكل جنوني عنه في البيت. عصبي عال الصوت ، غاضب دائما وكثيرا في الفترة الأخيرة مخمور. قالت بصوت خافت حزين:

- " لماذا يا أبي لا تظل هكذا دائما ؟ "

تذكرت والدتها. كم هي مسكينة . إن أمها تختلف تماما عن أبيها . إنها وديعة هادئة دائما رقيقة كنسمة. متدينة جدا لا تخرج من بيتها بدون نقابها وملابسها المحتشمة. تقضي معظم وقتها في تلاوة القرءان وقراءة كتب السنة. كما أنها جميلة جدا . بل باهرة الحسن . ولكنها أيضا تعامل زوجها بأسلوب غير سوي . أيهما المخطئ . أيهما بدأ بالمشكلة. لا تدري كل منهما يلقي اللوم على الآخر.

المشكلة الآن وصلت لنقطة فاصلة . صحيح أن أمها رضخت لإلحاحها ولم تغادر في الصباح. ولكن هذا لن يدوم. لقد وصلت العلاقة بينهما لذروة عدم التفاهم . وأصبح الانفصال قاب قوسين أو أدنى.

ترى مع من تعيش إذا تم الانفصال ؟ مع والدتها وجدها الفقير الذي يكفيه مرتبه بالكاد . وهي طالبة في الثانوية العامة . وحلم عمرها أن تدخل كلية الطب. وهذا مستحيل في ظروف جدها.

أتعيش مع والدها بعجره وبجره ؟

قاطع سيل أفكارها فتح أبيها باب السيارة. دس المفتاح في كونتاكت السيارة وأدارها وهو يقول بانبهار:

- " هذا الشاب رائع . وجاءني في الوقت المناسب تماما . "

اندهشت من كلامة ولم تفهم قصده . فسألته بحيرة بصوت أنهكه الحزن :

- " ماذا تقصد ؟ وفيما كنتما تتكلمان كل هذا الوقت؟

أجابها وهو يتحرك بالسيارة :

- " كنت أتفق معه على العمل معي كحارس شخصي . "

قالت مندهشة :

- " حارس شخصي . ولما تحتاج لحارس شخصي ؟"

أجابها :

- " تعلمين مشروع (المملكة) المدينة السكنية . معي ثلاث شركاء آخرين . وكلنا دخل المشروع بكل ثقله. وأوشك المشروع على الاكتمال . وبدأت أشعر بسوء نية كل واحد يطمع في الاستحواذ على المشروع كله لنفسه. وأشم بعض الدسائس والمكائد. ثم أن كل منهم لديه حارس شخصي . بل إن بعضهم عنده طاقم حراسة كامل "

أرادت أن تكلمه عن والدتها ولكن الكلمات حبست في حلقها. لم تشعر أن أي كلام قد يجدي كما أنها تخافه إلى حد الرعب.

صمتت . أغمضت عينيها . وتظاهرت بالنوم ثم غاصت فيه حتى النخاع . لقد كان يومها طويلا وشاقا إلى ما يفوق قدرتها على التحمل .

أيقظها بوق السيارة الذي أطلقه أبوها لينبه البواب ليفتح بوابة فيلاتهم . فتحت عينيها فزعةً. فرأت بغير وضوح البواب وهو يهرع فزعا إلى البوابة اعتدلت في جلستها وهي تفرك عينيها دون أن تتفوه بكلمة.

وما أن ولجت السيارة من البوابة الواسعة حتي تسللت إلى أنفها تلك الرائحة الزكية . تلك الرائحة التي وجدتها في الزهرة التي روتها صباحا . ولكنها لم تكن بمثل هذه القوة ولا هذه الروعة. لقد نسيتها تماما في خضم يومها الطويل. استنشقت عبيرها باستمتاع شديد أسبغ على أطرافها خدر جميل.

نزلت من السيارة وأبوها يسألها :

- " ما هذه الرائحة ؟ "

انتزعها صوته من استمتاعها انتزاعا فقالت باقتضاب:

- " بعض الزهور الجديدة ."

تحركت في اتجاه الزهرة وهي تقول :

- " سألقي نظرة عليها. "

لم يهتم بقولها ولم تهتم بقبول إذنه. دخل هو المنزل ، وأسرعت هي إلى زهرتها، وكلما اقتربت كلما أصبحت الرائحة أزكى وأقوى تأثيرا حتى لم تعد تشعر بأي شيء حولها ، حتى أنها نسيت أمها تماما والأزمة التي تكاد تعصف ببيتها. وما أن رأت الزهرة حتى اتسعت عيناها ذهولا فهتفت محدثةً نفسها بعدم تصديق:

- " مستحـــــــيل !!!! "

فما كان أمامها فاق الواقع والعلم والمنطق . خيالا محضًا . لا يمكن أن يكون حقيقيا. فالزهرة التي كان طولها لا يتجاوز العشرين سنتيمتر في الصباح صار طولها الآن المتر تقريبا . قد يزيد قليلا أو ينقص قليلا. وصارت أوراقها الشريطية الطويلة أكثر كثافة وأزهى لونا . تغطيها أهداب لامعة تتمايل في الهواء وكأنها تسبح في الماء.

اقتربت هدير مأخوذة وهي تتأمل الزهرة كالمسحورة . رفعت نقابها حيث أسوار الفيلا عالية تستر تماما من وراءها. نقلت بصرها إلى تاج الزهرة وكانت المفاجأة أكبر .

أوراق التاج كثيفة تتداخل فيها الألوان بشكل بديع ساحر. والأعجب أنه كان متوجها نحوها وكأنه ينظر إليها. فقد تبعها وهي تدور حولها وتوقف في مواجهة وجهها تماما وكأنه يتأملها . مدت هدير يدها تتحسس أوراق الزهرة بانبهار بذلك الملمس الحريري. وقالت مبهورة :

- " يالك من زهرة ! من أين جئت ؟ ! وكيف وصلت إلى هنا؟!"

خلعت قفازيها رغم برودة الجو وتحسست أوراق التاج التي مالت مع يديها وكأنها طفل صغير. وقالت بحزن:

- " هل أنت حزينة مثلي ؟ أراك وحيدة تماما . فما حولك إلا حظيرة الدواجن .... "

رفعت بصرها إلى حظيرة الدواجن بدهشة إنها لم تنتبه إلى الهدوء الذي سادها. وأدهشاها أن الباب مفتوح و .....

الدم والريش منتشر في كل مكان . لقد التهمت الزهرة كل الدواجن في الحظيرة.

تزايدت دهشتها واتسعت عيناها وهي تنظر إلى الزهرة بوجل وتقول:

- " يا إلهي . ما أنت بالضبط ؟"

تأملت الزهرة بشيء الخوف والتوتر، ثم مدت أناملها بتردد تحسس إحدى أوراقها. فسرى دفءٌ عجيب مخالف لبرودة الجو وطبيعة النباتات. اشترك مع الرائحة العطرة في تسكين جوارحها. فنسيت نفسها وما حولها وبدأت تتكلم مع الزهرة وكأنها صديقة حميمة . ربما أكسبها هذا شعورها بأن الزهرة تتجاوب معها . قرصها متوجه إليها مهما تحركت . أوراقها الطويلة تبدو وكأنها متوجهة إليها . ظلت هكذا في دنيا أخرى حتى انتزعتها صرخات أمها فأسرعت مهرولة إليها وقلبها يخفق في عنف . لقد أخطأت عندما توسلت لأمها أن تبقى . ما كان ينبغي أن تفعل . كان الأفضل أن ترحل.

تحرك نادر في حجرة مكتب والده وهو يصيح في وجهه بغضب شديد:

- " خطأ يا والدي . خطأ . ليس هذا ما أريد. "

ضرب والده المكتب بيده وهو يصيح بدوره:

- " كيف تخاطبني بمثل هذا الأسلوب يا نادر. هل نسيت أني والدك؟"

التفت إليه نادر وأخذ شهيقًا عميقًا في محاولة لابتلاع غضبه . ثم جلس على المقعد المقابل للمكتب وهو يقول بصوت اجتهد ليجعله هادئًا :

- " أنا آسف يا والدي . ولكني لم أكن أقصد إزاحتهم بهذه الطريقة . كنت أقصد بهزيمتهم ."

جلس أبوه بدوره على مقعده وهو يقول بدهشة مختلطة بغضبه:

- " إذا كنت فعلا تقصد ذلك فهذا لا يتطلب كلمة إزاحة وإنما هزيمة .
- " ولم أقصد هزيمة أيضا بشكل مطلق."

تراجع الوالد بظهره لظهر مقعده وهو يتطلع لابنه بحيرة خرجت مع نبرات صوته :

- " ماذا تقصد ؟ هل تتلاعب بالألفاظ ؟ أم تحب أن تلاعبني بالألغاز ؟ "

شبك نادر أصابعه أمام وجهه وهو يفكر بعمق وكأنه

لم يسمع تساؤل أبيه:

- " ولكن هذه نقطة جيده إلى حد كبير . وإن لم تندرج في خطتي ولكنها خدمتها إلى حد هائل . فإصابة زميليه ونجاته ضربة في الصميم."

ازدادت حيرة والده ونظر إليه عاقدا حاجبيه وفي ملامحة تفكير عميق وضاقت عيناه وهو يحدق في ابنه يتمنى لو يستطيع اختراق عقله . ليعلم فيما يفكر .

- " ما خطتك إذن يا عبقري ؟ "

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظفر شامته خبيثة وهو يقول:

- " ببساطة يا والدي العزيز أنا أطعن خارج ملعب المبارزة وداخله. أوجه له ضربة في الخارج تترك أثرا في نفسه فيكون لقمة سائغة لي . فأهزمه بسهولة وأنتزع منه

البطولة. كما فعل بي في البطولة السابقة . فهاني هذا مع قوته ومهارته في ساحة المبارزة . إلا أنه عاطفي أكثر من اللازم رقيق كعصفور . وهذا النوع يمكن هزيمة بسهولة

إذا جعلت الحزن والألم يسطيران على قلبه .

أشار الأب بسبابته محذرا:

- " إياك يا نادر أن تقدم على أي حماقة لا أريدك أن تتـ....."

قاطعه نادر بابتسامة ساخرة :

- " لا تخف يا والدي . أنا أذكى من أن أفعل ."

اتخذ جلسةً ملأها الكبر وهو يقول :

- " استعد يا والدي سنوجه أول ضربه لخصمي اللدود هاني عامر الليلة. "
- " وماذا تريد مني أنا ؟ إن أساليبي لا تعجبك ؟"

ضحك بصوت عالي ، وقال بكبر أعلى :

- " ألا تريد أن تخطب لابنك ؟"

اتسعت عينا الوالد بحيرة مجددًا وهو يتساءل في نفسه :

- " أي خطة شيطانية وضعها ابنه؟ "

(٣) ضربة قاسية

انتزع هاني قناعه الواقي الخاص بلعبة المبارزة وجفف عرقه الغزير رغم برودة الجو . والتقط نفسا عميقا ومدربه عادل يربت على كتفه قائلا:

- " أحسنت يا بطل. إن شاء الله ستسحق كل منافسيك غدا. وترفع رأسي وأصحابك عاليا."

تنهد هاني قائلا:

- " والله يا كابتن عادل لست مستريحا. قلبي يحدثني بشر قادم. "

تحركا تجاه حجرة الملابس وعادل يربت . على ظهره قائلا:

- " لا تخش شيئا يا هاني . لن يجرؤ ذلك الحقير على فعل شيءٍ آخر."

ولجا حجرة الملابس وبدءا في تغيير ملابسهما وهاني يقول بتوجس:

- " لا أتفق معك يا صاحبي. فمن فعل ذلك ، لن يرض حتى ينتصر مهما كلفه هذا. لهذا لم أكن أرغب....."

قاطعه عادل بحزم:

- " هاني . لا أريدك أن تعود لهذه الفكرة مجددا. لم اعتدك جبانا."

- " لست جبانا . ولكن ..... "

قاطعه عادل حاسما:

- " كفى يا هاني . لا أريد أن أسمع كلاما في هذا الشأن مرة أخرى . ستخوض المسابقة. وستنتصر إن شاء الله."

خرج الاثنان من النادي وما أن رآها هاني حتى تهلل وجهه واستأذن من عادل وتحرك إليها يدفعه شوقه إليها الذي بث في جسده دفئا لم يشعره بالبرد القارس. وقف جوارها وهي ترتجف من البرد وتضم الجاكيت على صدرها طلبا للدفء. قالت بحدة:

- " لماذا تأخرت ؟"

ابتسم مندهشا وهو يقول :

- " تأخرت؟!! أنا لم أتأخر. هذا موعدي المعتاد."

تأملها لحظات . رأى التردد والتوتر في عينيها والهرب من عينيه على غير عادتها. فسألها :

- "ما الذي حدث يا أماني ؟

رفعت عينين مرتبكتين إليه قائلة :

- " لا شيء. المهم أنت كيف حالك اليوم . وما أخبار البطولة ؟ "

وقف في مواجهتها تماما وهو يقول :

- " أماني . ما الأمر؟ هذه أول مرة تسألينني عن أخبار البطولة. كوني صريحة وأخبريني ما الأمر.

قالت بضيق وتردد:

- " خاطب. تقدم إلي خاطب ليخطبني وسيأتي اليوم هو وأبوه."

ضاقت عيناه ورفع ذقنها بأنامله ليجبر عينيها على مواجهة عينيه وقال وهو يحاول النفاذ إلى أعماقها:

- " وما الجديد هذه المرة؟ "

تبادلا النظرات للحظات غاص هاني فيها إلى أعماقها . وكأنها شعرت به يفتش في أفكارها فأشاحت بوجهها وهي تقول :

- " أبي و أمي موافقان ويحاولان..... "

قاطعها بخشونة لم تعهدها منه قط:

- " يمكنك أن تخدعي نفسك كما تشائين ولكنك لا يمكنك خداعي. أنت لا تحتاجين ضغط من أحد أنت سعيدة بهذا الخاطب . وما قَدِمْتِ اليوم إلا لتجدي لنفسك عذرا ."

قالت بغضب :

- " لا طبعا أيها الذكي . أنا لم ولن أوافق عليه. كم من واحد رفضته من قبل من أجلك ولكن سيادتك لا تقدر. "

ابتسم هاني ابتسامة حملت من التهكم والحزن والمرارة مالم يتخيل أن يشعر به يوما:

- " ولكن هذه المرة تختلف . قلبك فيه سعادة بهذا الرجل. هذه المرة ستوافقين. "

تلك المشاعر التي فاضت في نبرات صوته شقت قلبها وأدمعت عينيها فقالت بصوت باك:

- " أنت تظلمني يا هاني . لماذا ....."

أشار إليها بسبابته. أن تصمت وقال بنفس الصوت المرير الحزين:

- " كفى يا أماني . أسرعي حتى لا تتأخري. تحتاجين وقتا كافيا لتتزيني."

قالها وتلك الدمعة تفر من عينه رغما عنه.

حاولت أن تقول شيئا ولكنه استوقفها قائلا:

- " انتهى الكلام يا ....."

صمت لحظات يزدرد فيها لعابه بصعوبة ولدتها مرارة من خسر حياته كلها قبل أن يكمل :

- " يا حلم ضاع. "

قالها وقطرات المطر تختلط بدموعه . ولّاها ظهره وانصرف . نادت عليه لم يلتفت.

سار بغير هدى لا يرى أمامه إلا ضبابًا، أشباحً. لا شيء واضح . ودار أمام عينيه شريط ذكرياته معها.

بكل هذه البساطة . في لقاء لم يتجاوز خمس دقائق ضاع حلم ظل يبني فيه سنوات.

ظلت ذكرياته كالأمواج تلقيه موجه إلى أخرى . فتسيل دمعة تلو أخرى، غير شاعر بالمطر المنهمر على رأسه . لم يشعر سوى بصوت أمه وهي تناديه من المحل الذي تستأجره في المبنى الذي يسكنون فيه. شعر وكأن صوتها يأتي من بئر سحيق، وكأنه يحلم . لم يرد عليه واستمر في طريقه وكأنه فقد السيطرة على أطرافه.

ولج شقته لا يدري كيف أخرج المفتاح وفتح الباب . وكأن عقله غارق في عالم وجسده يتحرك وحده حسب ما اعتاده في عالم آخر.

تطلعت إليه أخته منار في ذهول وهي تهتف به فزعة :

_ " ما الذي حدث يا هاني ؟ لماذا لم تستتر من المطر ؟

لم يجبها، كأن لم يسمعها. وسار شاردا إلى الحمام.

اغتسل بماء ساخن . أعاد الدفء إلى أوصاله وعظامه التي كادت تتجمد.

وعندما ارتدى ملابسه كانت منار قد أعدت له عشاءه ولكنه صلى المغرب أولا . ثم جلس إلى طعامه وقد بدأت العاصفة في قلبه تهدأ قليلا.

نادت منار أمها من الشرفة. وعادت مسرعة وما أن جلست جواره حتى سألته بحنان:

- " ماذا بك يا هاني؟ ما الذي حدث ؟ "

نظر إليها هاني ورسم على شفتيها ابتسامة خرجت رغما عنه شاحبة. وقبل أن يجيبها دخلت أمه . وجلست أمامه بعد أن ألقت عليهما السلام . وما أن ردَّاه ، حتى سألت هاني نفس سؤالي منار. فقال بصوت وابتسامة شاحبتين :

_ " إنها البطولة يا أمي. أحد المتنافسين حاول إقصاء فريقي عنها بتمزيق أيدينا. ولكن الله أنقذني . ولكن صاحباي علي وياسر في حالة سيئة. نفسيا وبدنيا."

قالت أمه وقد شرعوا ثلاثتهم في تناول الطعام :

_" ولماذا تشارك في بطولة المتنافسين فيها غير شرفاء. "

قالت منار وهي تلوك الطعام في فمها:

_ " هذا غير الخطر من الاستمرار فيها . "

قال محاولا السيطرة على مشاعره:

- " أنت تعرفين يا أمي ما قدمه عادل لي منذ كنت في الثانية عشر . منذ أخذني وأنفق علي من ماله وجهده ووقته لكي أصل لما أنا عليه من مستوى . فيصعب علي أن أخذله عندما صار حلمه قاب قوسين أو أدنى . "

صرخات أمها تحمل من الألم والرعب ما جعلها تعدو وتتواثب وتصطدم بكل ما يقابلها ولا تشعر. لم تدر كيف تجاوزت درجات السلم . لم تشعر بنفسها إلا على باب حجرة والدتها . كانت والدتها شبه عارية في قميص نوم قصير خفيف لا يخفف شيئا من برودة الجو القارسة. والنافذة مفتوحة على مصراعيها يهب منها ريح وكأنه من زمهرير جهنم . ملقاة على الأرض تتلوى ألمًا و ترتجف من شدة البرد . وأبوها يهوي عليها بحزامه الجلدي بلا رحمة . يجمع لها عذاب البرد والضرب ورحمة تصرخ وتتوسل إليه وتعتذر وكأنه أصيب بالجنون . ظل يهوي عليها بالحزام بكل قوته. وعلى كل موضع في جسدها وحتى وجهها وهي تحاول أن تحميه بذراعيها . ويسبها بأغلظ الألفاظ وبانفعال جنوني. أمسكت هدير بذراع أبيها وراحت تتوسل إليه باكيه. وما زاده هذا إلا جنونا فوق جنونه. وخاصة عندما حاولت رحمة استغلال الفرصة وزحفت نحو الباب .

دفع رشدي ابنته بقوة فاصطدمت بالباب المفتوح بدوي شديد وسقطت أرضا . لم يلتفت إليها وركل رحمة في جانبها بكل قوته . فارتفع جسدها الضئيل واصطدم بالجدار وسقطت تجاهد لالتقاط أنفاسها لا تستطيع من شدة الألم الذي تفجر في جانب صدرها الأيمن موضع الركلة .

انتزع رشدي رابطتي عنق من صوان ملابسه وهو يقول بشراسة وحشية:

-" هل تظنين أنك يمكنك أن تنفصلي عني وتعيشين سعيدة ؟ ها ها ها ها . إنه حلم لن تدركيه أبدا . لقد قلتها لكي يوما وأعيدها ثانية لن يفرقنا إلا الموت."

انحنى عليها يقيد قدميها بربطة عنق ويقول بنفس الشراسة:

-" ولا تقلقي . اقترب . سترتاحين مني قريبا جدا . عندما يضمك قبرك ."

حاولت أن تتكلم ولكن الألم منعها فانهمرت دموعها غزيرة . فهوى على وجهها بصفعة عنيفة . شهقت لها هدير بألم وكأنها سقطت على وجهها هي وليس وجه أمها رحمة . ولم تستطع أن تشاهد أكثر . انطلقت خارجة من البيت استقلت سيارة أجرة إلى بيت جدها ليفعل شيئا .

قيد رشدي يدي رحمة خلف ظهرها وهو يقول :

-" هذا الجسد الجميل لن يستمتع به ولا حتى يراه غيري أبدا ؟

قالها وهو يعتدل واقفا وانهال عليها ضربا بحزامه الجلدي بلا أي رحمة . وباستمتاع جنوني وتلذذ وحشي.

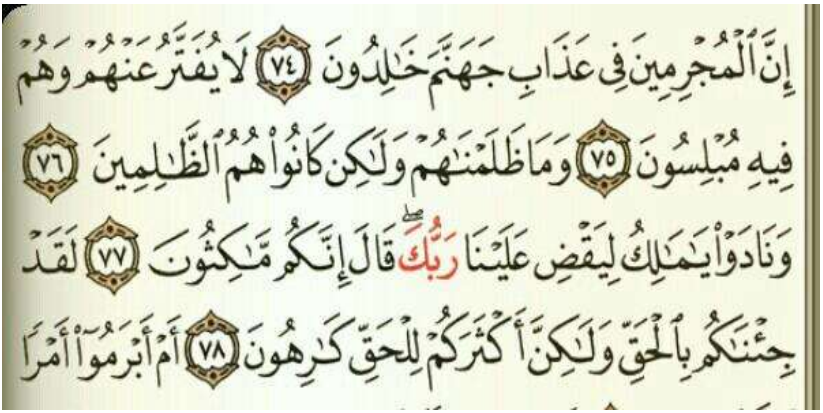
إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا

وقعت تلك الآيات على قلب هاني شديدة . ترى هل رق قلبه بعد أن غدرت به حبيبته. فاستيقظ من غفلته. أم لأنه بعد لقائه السابق مع الشيخ عمار جعل عقله وقلبه يتدبران القرءان . سالت دموعه حارة على وجهه . لم يدر أخوفًا من النار . أم حسرة على سنين قضاها في وهم . لم يبك أبدا من قبل كما يبكي الآن. شعر وكأنه كان في عالم بالأمس فاستيقظ اليوم ليجد نفسه في عالم آخر . فلقد رأى اليوم مالم يره طوال حياته. رأى قوة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . قوة لم يتخيل وجودها وكان يظن مثلها خيال . رأى من يسعى للفوز بمنافسة رياضية بأساليب دنيئة . رأى حبيبته تبيعه عند أول اختبار حقيقي. رأى في تلك الآيات النار أمام عينيه فهانت عليه الدنيا وما فيها .

انتهت الصلاة وجلس هاني يجفف دموعه في صمت وقد انتابه حياء شديد وهو يحاول إخفاء وجهه في منديله. ويتظاهر بأنه مصاب بالبرد.

ولكن عيون الشيخ عمار أدركته . وأدركت ما وراء هذه الدموع . لم يخف عليه الحزن السائد في هاتان العينان عندما صافحت عينيه . فنهض إليه وهب هاني واقفا إذ رآه قادم عليه وصافحه بحرارة.

ربت على كتفه وهو يقول بلهجة أبوية حنون:

- " ماذا بك يا ولدي ؟ ماذا حدث ؟ لماذا يفيض الحزن من عينيك هكذا ؟

كان هاني يرغب في أن يلقي بنفسه بين زراعي الشيخ عمار ويبوح بكل ما في صدره . ولكنه قاوم رغبته ، وانحبست الكلمات في صدره . شعر به الشيخ عمار ولم يصر حتى لا يحرجه . فربت على ظهرها . وهو يقول بلهجته الأبوية التي يفيض فيها الحنان:

- " تعالَ معي يا ولدي . "

قالها وهو يدفع هاني برفق ليتحرك معه نحو الباب . وهو يبحث عن طريقة يسَرِّي بها عن هاني ويشغله عن أحزانه.

وما أن خرجا من المسجد وقبل حتى أن ينتعلا حذاءيهما شقت صرخت هدير سكون الليل :

- " جدي . أدركني يا جدي."

التفت إليها الشيخ عمار برعب الدنيا . وهاني بدهشة وفزع انتزعه من حزنه انتزاعا . أسرع عمار إليها برعبه وهو يهتف:

- "ماذا حدث يا هدير؟ هل أصاب أمك مكروها؟ "

لم ير هاني وجهها إذ كان حجابها يخفيه . ولكن صوتها كانت الدموع تتقطر منها والرعب يخيم عليه :

- " أبي يقتلها . تركته وهو يقتلها ."

أمسكت ذراعه تتوسل إليه :

- " افعل شيئا يا جدي . أنقذها قبل أن ....."

لم تستطع أن تكمل وانهارت باكية بين ذراعيه. فدفعها إلى سيارة الأجرة التي جاءت بها. وبينما هو يركب سأله هاني :

- " هل أستطيع أن أفعل شيئا ؟ "

نظر إليه الشيخ عمار بذهول أولا، ثم قال بتوتر وقلق:

- " اركب يا هاني . وجودك معي أفضل بكثير . اركب يا بني. "

انطلق السائق بأقصى سرعة ممكنة على الأرض المبتلة بفعل المطر .

وعندما توقفت السيارة أمام البيت كانت البوابة مفتوحة على مصراعيها. والبواب واقف ينتظر، يدور حول نفسه في رعب وقلق يمزق أعصابه . أسرع يفتح الباب للشيخ عمار وهو يهتف فيه :

- " أسرع يا شيخ عمار . لقد جنَّ رشدي بيك. أنقذ السيدة رحمة من بين يديه ."

ومع ذلك كان هاني الأسرع في النزول من السيارة . وتناهى إلى مسامعه صرخة من صدر رحمة . صرخة شقت قلبه على الرغم من ضعف الصوت لبعد المسافة . ولكن ما فيها من ألم ورعب نفخ في قلبه قوة وفزعا جعلاه يقتحم البيت بسرعة واندفاع .

اندفع نحو مصدر الصوت وكلما اقترب تغلي الدماء في عروقه . ويتصاعد بركان غضب في قلبه حتى وصل إلى حجرتها واقتحمها. وتجمد الموقف لحظات.

كانت رحمة ملقاة أرضا مكبلة القدمين واليدين خلف ظهرها. شبه عارية وقد تمزقت ملابسها من أكثر من موضع فما عاد يسترها شيئا . ولكن الدماء تكفلت بسترها إذ انتشرت الجراح في كل أنحاء جسدها بشكل بشع . وكأنه كان متعمدا استخدام البرد كأداة تعذيب ، وزجاج المرآة متناثر حول جسده وكأنه حطمه عليها. وكان رشدي ينحني عليها وفي يده قطعة زجاج كان يدفعها إلى وجهها أو عنقها . قال هاني بذهول مشفق :

- " لا حول ولا قوة إلا بالله ."

صاح رشدي مزمجرا بغضب وحشي:

- " من أنت ؟ وكيف دخلت إلى هنا ؟

انقض هاني عليه ودفعه بكل قوته وغضبه فطرحه أرضا بعنف . وأغلق الباب خلفه بالمفتاح . ورجع إلى رحمة يحل قيودها . هب رشدي واقفا وركل هاني بكل قوته ولكنه لم يبالي واستمر في حل قيودها . ركله رشدي مرة ثانية . ولم يبالي هاني . لم يشعر بالألم من فرط غضبه ، واستمر في حل قيودها . وحاول رشدي أن يركله الثالثة وهو يصرخ فيه:

- " ماذا تظن نفسك فاعلا ؟ ألا تعرف من أنا ؟

هب هاني واقفا فجأة وتفادى ركلة رشدي فاختل توازنه وسقط أرضا . وقبل أن يعتدل كان هاني قد قيد قدميه بربطة عنق تصاعد غضب رشدي وحاول أن يخلص قدميه ولكن هاني كان قد انتهى . وعندما حاول أن ينهض كان هاني قد جذبه من قدميه ورفعهما عاليا فأصبحت رأس رشدي على الأرض فقلبه على وجهه بعنف. شعر رشدي بآلام مبرحة في عظامه وقبل أن يحاول السيطرة علة آلامه كان هاني يقيد يديه خلف ظهره بقسوة.

استدار إلى رحمة التي كانت تحاول باستماته أن تتحرك لتستر جسده ولكن آلامها كانت تكبل كل خلية في جسدها المرتجف ألما وبردا . انتزع ملابسا لها من صوان الملابس . وألبسها بسرعة وصياح الشيخ عمار على الباب وصرخات رشدي وزمجراته الوحشية وبكاء هدير ، ولكن أكثر ما أثر فيه أنين رحمة وبكائها الحزين الأليم.

حملها على ذراعيه بحنان شديد وهي ترتجف بين ذراعيه ألما وبردا ورعبا ولوعة وقال مهدئا:

- " لا تخشِ شيئا يا أختاه . لن يمسك ثانية . لقد انتهت كل آلامك."

استكانت مع كلماته وفقدت الوعي.

(٤) (البداية)

ضاقت أنفاسها وكأن على صدرها تجثم صخرة عملاقة. وحاصر بصرها ظلام قابض خانق كئيب. ودارت الدنيا بها وكأنها أرجوحة تدور حول محورها وهي في مركزها . السيارة تتلاشى وأمها فيها . وهي لا تدري حتى ماذا أصابها ولا ما الذي فعله أبوها بها. ذلك الشاب الذي استعان به جدها وثب من السيارة . اقتحم المنزل . وعندما وصلت إلى الحجرة خرج وهو يحملها على ذراعيه وهي بكامل ثيابها وبنقابها ولكنها بلا حراك . بالتأكيد لم تمت . سرعة الشاب وقلقه ينبئانها بأنه يسعى لإسعافها . تحركت خلفه وعيناها على أمها حتى تلاشت السيارة.

لماذا لم تركب معهم ؟ هل قررت أن تبقى مع أبيها وتترك أمها ؟ هل تحبه أكثر منها ؟ بل هي تشعر أنها لم تبغضه مثلما تبغضه الآن . لن تسامحه أبدا على ما فعل الليلة مهما فعل بعد ذلك. ما الذي يربطها به إذن ؟ هل الخوف ؟ هي لا تستطيع أن تخالفه . صحيح لا يعاملها مثلما يعامل أمها . ولكنه شديد . وعندما يغضب ، لا يشعر بما يفعل. أم ترى المال هو الذي يربطها به؟ هل ورثت منه حب المال كما ورثت منه ملامح الوجه.

دوامة راحت تدور برأسها قادتها قدماها في الحديقة إلى حيث زهرتها. وخرت على ركبتيها في انهيار . توقعت أن تغوص ركبتيها في بركة ماء من مياه المطر التي تنتشر في الحديقة. ولكن هذا لم يحدث. امتدت بضعة أوراق من الزهرة لتتلقى ركبتيها.

اختل توازنها من المفاجأة والفزع وسقطت على ظهرها . وتجمعت عدة أوراق وامتدت تحت ظهرها وحملتها بمرونة وخفة وتجمعت الأوراق جميعًا وحملتها وضمتها إلى ساق الزهرة الذي ازداد طولا وحجما. ارتجفت برعب وهي تظن أنها ستفترسها كما افترست طيور الحظيرة . ولكن الزهرة ضمتها إليها بحنان عجيب . وغلفتها الأوراق بالكامل فسرى في جسدها دفء ساحر جعل كل جوارحها تستكين خاصة مع تلك الرائحة الفاتنة . واستسلمت وغاصت في نوم عميق وكأنها في حضن أمها.

رأت نفسها تمشي في صحراء قاحلة خالية مستوية بشكل غير واقعي . ورأت جسدا ملقى على الأرض بعيدا عنها . اقتربت منه في حذر وتوجس . وجدته شابا ذابلا نحيلا، وكأنه ملقى هكذا منذ أيام بغير طعام ولا شراب. كان كما لو أن شيئا ما امتص كل ما في جسده من لحم وسائل تاركا جلدا مجعدا شاحبا على عظم.

بحثت معها عن طعام وماء ووجدت معها حقيبة كبيرة مملوءة بالماء والطعام. سقته انتعش عادت الحياه إليه. ترددت الأنفاس في صدره . سمعت النبض في قلبه. فتح عينيه. هذا الوجه رأته من قبل . ولكن متى؟ وأين؟ لا تذكر . ولمن؟ بالتأكيد منذ زمن ليس بقصير. أخرجت الطعام وأطعمته . وكلما أكل استعاد صحته . ذلك الوميض في عقلها هذا الوجه تعرفه ، تكلمت معه . من هو ؟

اعتدل جالسا وهو يبتسم بسعادة وامتنان، حدودهما كحدود الفراغ الذي يجلسان فيه. راحت تتكلم معه وتشكيه سوء أحوالها وهو يأكل ويأكل حتى نضب كل طعامها . أشار إليها أنه يريد المزيد . بحثت معها لم تجد شيئا . بدأ يتلوى ألما ، ويشير إلى فمه . انطلقت تبحث في قلق و.....

ارتجفت برعب عندما شق سكون الفراغ زئير أسد غاضب . تلفتت حولها في زعر. لم تر شيئا . ولكن الزئير انطلق أقوى فتحت عينيها برعب. وتضاعف رعبها لما وجدت نفسها بين أوراق الزهرة ومرفوعة عن الأرض . انتفضت برعب وحركت أطرافها بعصبية ورعب وعنف محاولة التملص من أوراق الشجرة. وكأن الزهرة فهمت و أشفقت عليها . فحررتها برفق ووضعتها على الأرض . أغشى ضوء الشمس بصرها . فتراجعت هدير وهي تحاول فتح عينيها من جديد و ترنو إلى الزهرة برعب وذهول وأبيها يصيح مزمجرا بصوت أشبه بزئير أسد جريح .
تراجعت مذعورة إلى حيث أبيها وجدته يدفع البواب أمامه بعنف ويسبه ويطرده من البيت ويلقي له أغراضه في الشارع. فسالت دموعها ببكاء حار وقد تضاعف مقتها لأبيها.

ارتدى هاني القناع الواقي على وجهه ، وعادل يوصل السلك الكهربي في ظهر ردائه. ذلك السلك الذي يتصل بالسيف من تحت الرداء ، ويتصل بجهاز التسجيل الخاص بلجنة التحكيم . فإذا طعن اللاعب خصمه في الموضع الصحيح. أضيئت

لمبة خاصة متصلة بالجهاز المتصل بالخصم . فتحسب نقطة للطاعن. قال عادل بقلق:

- " ماذا بك يا هاني؟ عيناك حمراوان أكثر من اللازم. وأتيت متأخرًا."

ثم اختلط بصوته غضب:

- " ألم تنم كفاية أمس ؟"

التقط هاني نفسا عميقا وهو يشد جسده. وعيناه تخترقان قناعه الشبكي المعدني تجوب وجوه اللاعبين الذين يراقبونه بحماس واهتمام وقال:

- " أنا لم أنم مطلقا ؟ "

حدق فيه عادل بذهول وغضب فنظر إليه هاني قائلا:

- " لا تقلق يا كابتن عادل أنا لن أخذلك إن شاء الله . وعدم نومي أمس رغما عني . لا تقلق . وتأكد أن كل شيء تحت السيطرة . "

عاد يلتفت إلى اللاعبين وتوقفت عيناه على عيني نادر وهو يقول بمقت :

- " المهم أني عرفت المسئول عن إصابتي علي وياسر . "

تطلع عادل إليه بدهشة وتساؤل قائلا:

- " حقا ؟ كيف ؟ ومن هو ؟

صدر صوت إلكتروني يعلم اللاعبين للاستعداد. فقال هاني في تحد :

- " يكاد المريب يقول خذوني . ..... دعه لي يا كابتن . سألقنه أقسى درس في حياته ".

ربت عادل على كتفه قائلا :

- " وفقك الله يا هاني ."

قالها وغادر ملعب المبارزة . فأخذ هاني وضع الاستعداد وهو يشهر سيفه في وجه خصمه قائلا بلهجة حاول يصبغها بالمرح ليخفي براكين المشاعر الهائجة في صدره:

- " إياك أن تتخيل أن تهزمني يا صاحبي."

أخذ خصمه وضع مماثل وهو يقول بمرح:

- " انتبه يا عم هاني المغرور . أنا وجميع اللاعبين نتنافس على المركز الثاني . جميعنا يثق في أنك أنت الأول . ولكن كلنا لا يتمنى شيئا مثل هزيمتك. فهزيمتك وحدها أفضل عندنا من البطولة نفسها. فاحذر."

ارتسمت على شفتي هاني ابتسامة مرحة رغما عنه . وانطلقت إشارة البدء . وانقض اللاعبان والعيون جميعا ترمقهم باهتمام شديد.

عيون نادر امتلأت مع الاهتمام مقت وغل . أما عادل فاختلط باهتمامه دهشة وقلق وأتاه صوت علي بنفس القلق الذي ينهش في قلبه:

- "يبدو أن هاني ليس على ما يرام يا كابتن . ليس هذا أسلوبه ."

تردد قليلا ثم أردف :

- " لا أدري . ولكن خصمه يفوز منه بلمسات . لا أدري كيف تفوت على هاني."

قال عادل بنفس القلق :

- " هاني مرهق للغاية ، فلم ينم ليلة أمس . كما أنه يبدوا كمن مر بإعصار نفسي عنيف. ففي عينيه حزن لا يستطيع مداراته . حتى ابتساماته المرحة يسيل من أطرافها الحزن."

قال ياسر بمرح وثقة:

- " لا تخشوا على هاني يا رفاق. أنا واثق أنه يترك خصمه يوصل له اللمسات متعمدًا . وأنه سيفوز في النهاية وسترون ."

تابع الجميع المبارزة وعلي وعادل يتمنيان أن يكون ياسر محقا . ولكن القلق ظل يعصف في قلبيهما فالنقاط تكاد تكون لمسة ولمسة . هاني متفوق . ولكن الفارق قليل .ثم إن المبارزة طبيعية لا يبدو هاني متصنعا أبدا . يبدو طبيعيا تماما ولكن الإرهاق الشديد يكبله. المصيبة أن هذه هي المبارزة الأولى فكيف حاله في المبارزة الأخيرة . هل سيتمكن أصلا من الوصول إليها.

أما هاني كان مشتتا بالفعل مرهقا لأقصى حد . حزينا مصدوما . لم تكن صدمته في حبيبته فقط . فالصدمة كبيرة ذات أركان . حبيبة غدرت . متبارز غير شريف . وقصة رحمة مع زوجها. فهذه المسكينة أطارت النوم من عينيه وأهله جميعا.

لقد استقر الرأي أن يأخذ رحمة لبيته لسببين : الأول أن زوجها رشدي سيبحث عنها حتما عند الشيخ عمار . فلابد من إخفائها . بأي طريقة. ثانيا هاني لديه صديق طبيب في شارعه قام لها بكل الإسعافات المطلوبة . وفي نفس الوقت سيتكتم الأمر . ولكن لم يكن في حسبانه الحالة النفسية التي كانت فيها رحمة . لقد أصيبت بصدمة عصبية شديدة. فعلى الرغم من المهدئ القوي الذي حقنها به الطبيب. إلا أنها ظلت ترتجف طوال الليل . لا تكاد تغمض عيناها حتى تستيقظ فزعة تصرخ وتبكي وترتجف في رعب شديد. ولا تهدأ حتى ترى هاني . وجهه الذي أنقذها من رشدي . صار شاطئ الأمان لها . فظل وأهله في كرب شديد طوال الليل . حتى حقنها الطبيب بمهدئ أقوى قبيل الفجر.

وعلى الرغم من أن ذلك الحدث أيقظه على دنيا جديدة لم يرها من قبل ، ولم يتخيل حتى وجودها . ولكنه هون عليه فقد حبيبته. ربما كانت ستقلب حياته مأساة بعد الزواج كما فعل رشدي مع رحمة . فأنجاه الله منها .

فقد ذكره الشيخ عمار وهما في السيارة راجعين برحمة بقصة موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف وما فيها من عبرة أن الأمور أحيانا يكون ظاهرها شر وهي خير محض . مثل خرق السفينة وقتل الغلام .

استطاع أن يتغلب على أحزانه وإرهاقه. ويتغلب على خصمه. وأعلن الحكم فوز هاني بالمباراة.

سيطرت تلك الرائحة الفاتنة على كل حواس شهاب وهو يخطو داخل فيلا رشدي حتى أنه لم ينتبه إلى البواب المسكين الذي يجمع متاعه . استقبله رشدي بترحاب شديد وقد هدأ فجأة . وصار رجلا وقورا لبقا مهذبا وقال:

- تفضل يا أستاذ شهاب . لقد جئت في موعدك تماما . وهذا يدل على أننا سنكون على وفاق كبير . فأنا أحب الانضباط كثيرا.

قال شهاب بأدب جم :

- أتمنى ذلك يا سيدي .

قال رشدي وهو يقوده لداخل الفيلا :

- " تعال انتظرني في الداخل حتى أغير ملابسي . "

قال شهاب وهو يشير إلى نباتات الحديقة :

- " أحب أن أنتظر هنا يا سيدي . فحديقتك غناء بنباتات متنوعة رائعة وأنا في كلية العوم كما تعرف في قسم النبات. لو تأذن سيادتك أتجول فيها لدقائق حتى تنتهي من تبديل ملابسك . "
- " لا بأس . اعتبر نفسك في بيتك . ولكن احترس من مياه المطر التي تغرق الحديقة . فستجد الأرض زلقة . "

أجابه شهاب بابتسامة امتنان . ونزل إلى الحديقة . وعينيه تجوبان النباتات تبحث عن مصدر تلك الرائحة التي تخلب الألباب.

كلما توغل في الحديقة توغلت الرائحة في أنفه. وشعر وكأنها تتوغل في كل خلايا جسده. وتضم كل مشاعره بحنان فتنشر فيها دفئا جميلا، أنساه الهواء البارد الذي يضرب وجهه. كان يتفحص موضع قدمه . ويتفحص الزهور والنباتات بحثًا عن مصدر الرائحة . وكلما وقعت عيناه على نبات صنفه في سرعة . وليس منها ما يمكن أن يبعث هذه الرائحة . حتى خرج من وسط أحواض الزهور إلى مؤخرة المنزل ورأى هدير واقفة أمام زهرة عملاقة . وكان المشهد بالنسبة إليه مذهلا .

فهدير تعطيه ظهرها وتمسك طرفي ورقتين من أوراق الزهرة الطويلة التي تخرج مباشرة من الساق وتمتد كشريط طويل يتجاوز طوله المتر. وتتحدث إليها كأنها تتحدث إلى إنسان.

ذُهِلَ شهاب حتى أنه تسمر في مكانه يتأمل الزهرة والأسلوب الذي تتكلم به هدير معها. وعلى الرغم من حبه وولعه بالنباتات ونهمه بالقراءة عنها واجتهاده في دراستها فيما فاق أساتذته أنفسهم. إلا أن هذه الزهرة لا تندرج تحت أي فصيلة أو عائلة نباتية يعرفها . اقترب وهو يلقي السلام . أجفلت هدير وشهقت برعب شهقة أقرب للصراخ وهي تغطي وجهها بنقابها. فارتبك شهاب وقال بحرج شديد :

- " أنا آسف . أنا ..... أنا لم أقصد أن .... أنا فقط ...."

تنهدت بارتياح وقالت :

- " لا عليك يا أستاذ شهاب . أنا الذي فزعت أكثر من الطبيعي . أنا من يتوجب عليه الأسف . "

اقترب شهاب وهو يشير إلى الزهرة قائلا في محاولة للتخلص من حرجه:

- " ما اسم هذه الزهرة ؟ ومن أين أتيت بها ؟
- " لا أدري . لقد وجدتها هنا صباح أمس. "

قال متعجبا:

- " ومن يمكنه أن يكون قد أتى بها . هل أتت وحدها."

قالت ببساطة :

- " لا أدري . أمي هي التي كانت تهتم بالحديقة وترعاها ، وهي التي زرعت ونسقت كل ما تراه نباتات. وما كانت لتأتي بهذه الزهرة ثم تزرعها بعيدا عن أحواض الزهور ثم تتركها لتموت. كيف أتت إذًا؟ لا أدري . "

اقترب شهاب من الزهرة وتحسس أوراقها وهو يقول وعيناه تتفحصانها:

- " يا سيدتي . هذه الزهرة عجيبة . أنا على الرغم من دراستي لعلم النبات وحبي ونهمي لهذا العلم ، لم أر لها مثيل قط . هذه الزهرة بالتأكيد نبات منقرض ، أو حتى من كوكب آخر . لكنها بالتأكيد الوحيدة على الأرض على الغالب الآن."

شعرت هدير بالفخر وكأنه يتحدث عن ابنها وليس عن زهرتها فقالت بزهو :

- " ما خفي كان أعظم ."

التفت إليها بحيرة واهتمام بالغ وقد بدأت تستولي على كل حواسه وسألها:

- " ماذا تقصدين ؟ "

قصت عليه كل ما حدث من الزهرة منذ رأتها أول مرة. وكلما أضافت معلومة فغر فاهه واتسعت عيناه دهشة .

هي لا تعرف شيئا عن النباتات فمهما كان النبات غريبا تقول ممكن وجوده لأنها لا تعرف شيئا . أما شهاب فخبير ويعلم أن ما تقوله مستحيل ولا حتى من كوكب آخر.

ولكنها لم تقص عليه ما رأته في منامها . وإلا حسم أمره وقال عنها مجنونة . ارتفع صوت رشدي يناديه وهو يفتح باب الجراج ليخرج السيارة . فاستأذن منها على مضض . أما هي فاشتعال الحماس جعلها تقرر أن ما رأته ليس أضغاث أحلام . وأنها رسالة من الزهرة تطلب منها الطعام . فأسرعت خارجة من الفيلا خلف سيارة أبيها وانطلقت إلى الجزار القريب من بيتها لتشتري منه اللحم قبل أن تحاول الاتصال بجدها لتطمئن على أمها.

وفي السيارة تجمع غضب ثور هائج في صوت رشدي وهو يقود السيارة ويقول لشهاب :

- " أحتاجك في مهمة خطيرة . "
- " تحت أمرك يا سيدي ."
- " ولها أجر غير أجرك . بل لك أجر شهرين على هذه المهمة وحدها."

اعتدل شهاب في مقعده واستدار إليه باهتمام شديد فهو فعلا يحتاج المال بشدة. كما أنه يحب التحدي ويهوى اجتياز الصعاب وقال بشغف:

- " قل يا سيدي المهمة وإن شاء الله سأنفذها على خير ما تريد ."
- " زوجتي هربت ليلة أمس مع شاب لا أعرفه . وكان أبوها معهما . وعندما حاولت منعهم فقدْتُ الوعي. فقد وضَعَتْ لي الخائنةُ المخدر في الطعام . وعندما استعدتُ وعيي ، انطلقت إلى بيت أبيها ، وطبعا لم أجدهما . ورفض الإفصاح لي عن مكانهما . "

قال شهاب بدهشة واستنكار :

- " أبوها يساعدها على أمر كهذا . سبحان الله . ما هذا الرجل ؟"

قال رشدي بتحسر وندم :

- " لقد كانت غلطة عمري أن أرتبط بهذه العائلة المنحلة . المهم أريد هذا الشاب في بيتي . أريد أن أثأر منه لشرفي. ."

صمت لحظة قبل أن يردف :

- " يمكنني أن ألجأ للشرطة . ولكن ..... لا أريد أن يعلم أحد أبدا بذلك. أنت تعلم وضعي ومكانتي . أنا عضو في مجلس الشعب . ورجل أعمال كبير . وأمر كهذا إذا افتضح فيه نهايتي . بالإضافة أنه اختبار لقدراتك .
- أخبرني فقط يا سيدي كيف أصل لوالد زوجتك وسيكون ذلك اللئيم بين يديك الليلة.

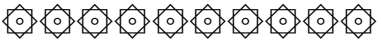

(٥)- التحـــــدي

أعلنت لجنة التحكيم فوز هاني لآخر مباراة في ذلك اليوم فتنهد بارتياح وهو يقترب من موضع فريقه ومدربة الذي قابله بابتسامة غضبى فقابله هاني بابتسامة استحياء وهو يقول :

- " لقد فزت في جميع المباريات يا سيدي. فلما الغضب . "

قال عادل بغضب وهو يشيح بوجهه:

- " وهل تسمي هذا فوزا ؟ "

ثم رماه بنظرة فيها تهكم قائلا :

- " وبالفعل رأينا اليوم هاني لم نره من قبل ."

قالها و ولَّاهم ظهره يهم بالانصراف. فاستوقفه هاني قائلا :

- " اعذرني يا سيدي أنا لم أنم مطلقا . لقد مررت بأصعب يوم في حياتي أمس ."

حدقه عادل بنظرة يتصاعد منها الغضب :

- " عذر أقبح من ذنب . تعرف أنك قادم على أكبر تحديات حياتك . فتقابلها باستهتار . وعدم تقدير لخطورة الموقف ."

كاد هاني يرد مدافعا عن نفسه ، ولكنه رأى نادر يقترب منهم، وعلى شفتيه ابتسامة ظفر وشماته . فتطلع إليه بغضب أطاح بكل ما يمزق خلاياه من إرهاق .

توقف نادر وسطهم وهم ينظرون إليه في صمت وهو ينظر لهاني بشماتة وهاني ينظر إليه بتحد وغضب. يجاهد قبضته ألا تنطلق في وجه نادر. الذي رفع يديه يوزع عليهم بطاقات دعوة وهو يقول بمرح مصطنع، خرجت الشماتة فيه ذات اليد العليا:

- " أدعوكم يا أصدقائي لحضور حفل خطبتي الليلة . إياكم والتأخير فالحفل سيكون رائعا ."

شعر هاني بغصة في حلقه . تمنعه من ازدراد لعابه . وانقباض في قلبه أقسم على رئتيه ألا تخرج نفسًا أو تدخل نفسًا . ودار إعصار من التفكير في رأسه . أكيد هي ضربة جديدة من نادر . أمسك بطاقة الدعوة في يده وصوت نادر يدوي في أذنيه كأنه صرخات شياطين من أعماق الجحيم (خطبة). أماني تركته من أجل خاطب غني . إصابة أصحابه ليخرجوا من البطولة . دعوة لخطبته. نظرة الشماتة في عينيه وصوته. هل ممكن أن تكون خطيبته هي أماني ؟

خفق قلبه في عنف . وزاغ بصره وهو يفتح البطاقة بأصابع مرتجفة وأنفاس منحبسة . ووقع اسمها على عينيه كألف صاعقة على وجهه وتعالت ضحكات نادر الشامتة وهو ينصرف.

ولم يجد أيهم شيئًا ليقال.

عالم جديد صافحته عينا شهاب في جولته مع رشدي . شركات على أعلى مستويات الرفاهية . بشر من طبقات ما كان يراهم إلى على شاشات التليفزيون. منذ وضع قدمه في سيارة رشدي . حتى عاد مع غروب الشمس. ظل يصعد سلم الانبهار مع كل خطوة يخطوها بصحبة رشدي . ولكن كل هذا الانبهار وفي أعلى ذروة وصل لها، لم يبلغ نصف انبهاره بزهرة هدير . كانت تخطفه من كل ما حوله من عالم لم تقع عليه عيناه من قبل . حتى عندما اشترى له رشدي مجموعة بزات فخمة ما كان يحلم بارتداء إحداها حتى في يوم زفافه ولو بالإيجار . ولكن لهفته لفحص هذه الزهرة فاق لهفته لارتداء إحدى البزات التي ما كان يحلم باقتناء إحداها. وما أن نزل من السيارة، حتى سد رشدي عليه الطريق لإشباع أي اللهفتين إذ قال بلهفة بلغ الغضب فيها مبلغة :

- " الآن حان دور مهمتك . أريد تلك الخائنة وعشيقها عندي الليلة."

ألقى نظرة على مرمى البصر محاولا اختراق أشجار الحديقة ليرى زهرة هدير ، ولكنه عجز لبعد المسافة ووجود الأشجار وخاصة مع تلك الظلمة التي راحت تنشر عباءتها على كل الخلائق .

فلما عجز قال :

- " أمرك يا سيدي . "

أخرج رشدي من حافظة نقوده مبلغا ضخما قدمه إليه قائلا :

- " أنفق كما تشاء ، المهم أن تأتيني بهما الليلة ."

قال شهاب وهو يدس المال في جيبه :

- " إن شاء الله يا سيدي ."

قالها وانصرف. استقل سيارة أجرة أقلته إلى بيت الشيخ عمار . كان يحفظ ملامح هاني كما وصفه له سيده رشدي عن ظهر قلب. وخطوته الأولى مراقبة الشيخ عمار حتى يقابل هاني . ولكن هاني افترض هذه الخطوة. فاتفق مع الشيخ عمار ألا يتقابلا في هذه الفترة. حتى يستقر الأمر وينظرا ما الحل .

جلس شهاب على المقهى المجاور لبيت الشيخ عمار يراقب بوابة البيت المعدنية القديمة . حتى رآه يخرج لصلاة العشاء فانطلق خلفه يحذر ألا يشعر به . حتى وصلا إلى المسجد . دخل خلفه صلى العشاء ثم انصرف . تبعه شهاب وعيناه تبحثان في كل من يقع عليه بصرة على صفات هاني . ولا جدوى . صعد خلفه درجات السلم . حتى فتح باب شقته فدفعه شهاب بخشونة ودخل خلفه وأغلق الباب بسرعة . فصاح الشيخ عمار بفزع وهو يبتعد عنه :

- " من أنت وماذا تريد؟ "

قال شهاب بأسلوب صارم ونظرة حادة ليلقي الرهبة والخوف في قلب الشيخ عمار :

- " أين ابنتك وعشيقها؟ "

عقد الشيخ عمار حاجبيه في تفكير قائلا وهو يقعد على أقرب مقعد وقد زال عنه خوفه :

- " أنت تعمل مع ذلك الفاسد رشدي . أو هو استأجرك ."

اقترب منه شهاب وهو يقول محاولا بث صرامة أكثر في صوته :

- " أين ابنتك وذلك الشاب الذي هربت معه ؟"

ابتسم الشيخ عمار ابتسامة احتقار قائلا :

- " أهكذا شرح لك الأمر . هذا متوقع من رجل مثله. يا بني الحقير....."

قاطعه شهاب وهو يميل نحوه معتمدا بيده الواحدة اليسرى على مسند مقعده :

- " دعك يا رجل من الأكاذيب وأجب سؤالي ."
- " أي سؤال أيها الفتى الساذج ؟ هل تظن أني سأسلمك ابنتي لكي يقتلها ذلك الوحش الحقير؟"

التقت عيناهما في تحد. قبل أن يعتدل شهاب مبتسما وهو يقول وعيناه تفحصان ملامح الشيخ عمار ليرى رد فعله :

- " دعنا نجرب شيئًا آخر ."

تطلع إليه الشيخ عمار بتساؤل فتابع :

- " فلنــرَ آخر رقم تم طلبه من هاتفك ."

اتسعت عينا الشيخ عمار بفزع. فالتقط شهاب سماعة الهاتف وقد أدرك أن هذه الخطوة نجحت. وقال بعد أن ضرب زر إعادة آخر رقم:

- " هل يمكنني أن أكلم السيدة رحمة لو سمحت؟ "

أتاه صوت هاني يقول بحذر:

- "رحمة من ؟ ليس عندنا أحد بهذا الاسم."

حاول الشيخ عمار أن يصرخ محذرا هاني . ولكن شهاب كان يتوقع ذلك وينتظره فرفع قدمه بقوة إلى معدة الشيخ عمار لتقتل الصرخة في صدرة وتابع ببساطة :

- " أنا جار الشيخ عمار . ولقد اقتحم رجل غريب شقته وضربه بعنف وتركه في حالة خطيرة . وأخبره أنه يعرف العنوان الذي أنتما فيه وسيذهب إليكما . والشيخ عمار يريد أن يسمع صوت ابنته ليطمئن عليها ."

أجابه هاني بصمت طال لثلاث أو أربع دقائق قبل أن يقول بتحد وثقة :

- " أنت تابع لزوج السيدة رحمة وليس جار الشيخ عمار وتحاول استدراجي أليس كذلك ؟"

صدم قوله شهاب فأُرْتِجَ عليه. ولم يدر ما يقول من هذا الأسلوب المباشر. فصمت ولم يجبه. ولم ينتظر هاني إجابته وإنما قال بأسلوبه المتحدي الصارم :

- " وهو كذلك . سأقصر عليك الطريق . أنا قادم إليك . ولكن لا تمس الشيخ عمار بسوء وإلا ..... "

استعاد شهاب سيطرته على انفعالاته وهو يقول :

- " فليكن أنا أنتظر . ولكن إن اتصلت بالشرطة أو أتى معك أحد، سأقتل الشيخ عمار قبل أن تصل ."

أجابه هاني بصرامة شديدة :

- " اتفقنا . انتظرني ."

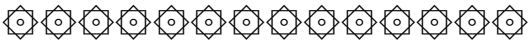

وصل هاني بيته يشعر بأنه يحمل أطنانا على كتفيه لا يقوى حتى على التقاط أنفاسه، فضلا على صعود السلم.

أتاه صوت أخيه علاء يصرخ بفزع:

- " هاني ... أسرع بالله عليك . أسرع ؟"

شحن صوت علاء جسد هاني بالطاقة فقفز يتجاوز السلم بخطوات قليلة .

واقتحم الشقة مندفعا وهو يصيح في علاء :

- " ماذا حدث يا علاء ؟"

أشار علاء إلى حجرة أمه وأخته وهو يقول بفزع اختلط به كثير من الأسى :

- " إنها السيدة رحمة."

نظر هاني إلى باب الحجرة فرأى أخته منار تخرج من الحجرة وعيناها تفيض منهما الدموع لتغرق وجهها. وأتته صرخات رحمة الملتاعة الجنونية . فأسرع إلى الحجرة وما أن اقتحمها حتى رأى رحمة متكورة على نفسها جالسة في ركن الحجرة تبكي وتصرخ بفزع ورعب جنوني. ووالدته جاثية على ركبتيها تحاول تهدئتها بيأس ودموعها تسيل على وجهها . وكلما حاولت الاقتراب منها ازداد رعبها وصراخها.

اقترب هاني منها . وما أن شعرت به يجثو بجوارها حتى انتفضت برعب وهي ترفع إليه عينيها الزائغتين . وقع بصرها على وجهه فهدأت صرخاتها واستكانت جوارحها وعيناها لا تفارقان وجهه. أما هاني فقد غاص في عينيها الواسعتين الكحيلتين . لونهما الزيتوني الذي يموج بحزن ماله حدود . تهيجه عواصف من الرعب. وضع يده على يدها ربت عليها وهو يقول بحنان وشفقة :

- " اهدأي يا سيدتي . لقد انتهى كل شيء . لا داعي لكل هذا . أنت هنا في أمان ."

هدأت كثيرا وصارت صرخاتها بكاءً مكتوما وخفت ارتجافها. أمسك يدها وجذبها لتقف فنهضت معه في استكانة وهي تطلق آهات ألم . قادها إلى الفراش وأجلسها عليه مسلوبة الإرادة وكأنه غير واعية، وهو يسأل والدته:

- " هل تناولتْ طعاما اليوم."

أجابته أمه بصوت باك وهي تساعد رحمة في الجلوس على الفراش:

- " لم تذق ولو جرعة من ماء."

قال وهو يتطلع إلى وجهها الملائكي بإشفاق :

- " أحضري الطعام هنا إذا يا أمي سنأكل جميعا هنا ."

جلس هاني على حافة الفراش وهو يسألها :

- " كيف حالك الآن يا سيدتي . "

نظرت إليه بعينين زائغتين ولم تجب . كان من الواضح أنها في حالة أشبه بفقدان الوعي لا تشعر بما حولها تتعامل مع من حولها كأنها في حلم. أو أنها غارقة في بحر أحزانها . تحاول عبثا أن ترفع رأسها فوق سطحه ، تستنشق هواءً. حاول أن يتكلم معها ليخرجها من حالتها هذه فراح يتكلم معها عن الإيمان بالله والصبر . وأن الابتلاء ليس شرا بل قد يحمل في طياته خيرا كثيرا. ووجد نفسه يحكي لها عن البطولة والمنافس غير الشريف و..... انتفضت فجأة في فزع. فصمت وهو يرفع بصره إليها . كانت تحاول ستر وجهها وقد استقر بصرها وإن امتلأت عينيها بالفزع والحزن . فانتبه هاني إلى أنها منتقبة . وما كان ينبغي أن يرى وجهها . لقد أدرك ذلك عندما أخرج لها ملابسها من صوانها في بيتها. ولكن الموقف وحالة الإرهاق التي تمزق كل عضلات جسده. كل هذا جعله لا ينتبه.

ارتبك واعتدل واقفا لا يدري ما يفعل . في حين انخرطت رحمة في بكاء حار وهي تدفن وجهها في كفيها. فأسرعت أم هاني تحتضنها برفق وتربت على رأسها وتهدئها .فخرج هاني من الحجرة .

دخلت منار بالطعام فتناولته أمها وهي تهتف فيها:

- " أين نقابها يا مي ."

أسرعت منار تحضر النقاب من على المشجب خلف باب الحجرة. ارتدته رحمة وجابت الحجرة بعينيها بحثا عن هاني . ولـمَّا لم تجده ارتجف جسدها من جديد. وشعرت بها أمه فنادته بسرعة وما أن ولج الحجرة، حتى بدأت تهدأ . وبدأوا في تناول الطعام وإن ساد الصمت طوال الطعام . إلا من بعض العبارات التي يحاولون تشجيع رحمة على تناول الطعام .

وما أن انتهوا حتى أُذِّنَ لصلاة العشاء . فاستأذن هاني ليتوضأ . وانتبهت أمه لعين رحمة وهي تتابعه والفزع يتسلل إلى عينيها ومنها يسري في جسدها .

خرجت خلف هاني في حين بدأت منار تحاول جذب أطراف الحديث مع رحمة . وقفت أم هاني بجواره وهو يتوضأ وسألته:

- " هل كنت تعرف هذه السيدة من قبل ؟

تطلع هاني إليها في دهشة وسألها :

- " وما سبب هذا السؤال يا أمي ؟"

ارتبكت أمه وترددت وهي تقول :

- " يعني ... أشعر ... أشعر أنها ."

رفع هاني قدمه فوق الحوض ليغسلها ونظر إليها بابتسامة شاحبة :

- " تشعرين أنها متعلقة بي أكثر من أن تكون هذه أول مرة تراني فيها ."

صمت وهو يرفع القدم الأخرى ثم قال :

- " أولا يا أمي الحبيبة : هذه امرأة نالت من العذاب قسطا فوق التحمل . مع يأس من وجود مُخَلِّص . هذا لأن زوجها المحترم كان يبالغ في تعذيبها لأنه يعلم ألا محاسب له . فلا أخ لها ليحاسبه . وأبوها شيخ كبير . كما أنه ذو علاقات واسعة وإذا سعى أبوها للشرطة لن يجني شيئا . فكانت على يقين أنها نهايتها . بل أعتقد أنها توسلت إليه ليقتلها لتستريح من العذاب . ثم رأتني فانتهى كل عذابها بغتة . فهذا الذي رأيته شيء طبيعي . وإن كانت أصلا لم تستعد وعيها أو حالتها النفسية الطبيعية . ثم إنها يا أمي كبيرة في السن. إن ابنتها في الثانوية العامة كما أخبرني الشيخ عمار . فاطرحي وساوسك جانبا إنها بلا داع .

قالها وهو يجفف وجهه بالمنشفة فقالت له أمه وهي تغمز له:

- " ولكنها جميلة . جميلة إلى حد يسلب لب أي رجل . لم أر جمالا كهذا في حياتي كلها ".

ابتسم هاني وطبع قبلة على جبهتها وقال:

- " الجمال ليس كل شيء يا أمي . الروح أسمى من الجسد . فكم من جميلات لا يستحققن أكثر من الدهس بالنعال. وكثيرات لسن جميلات يستحققن الحمل على الرؤوس. فتافه ذلك الذي يجري وراء الجمال، ولا ينظر وراءه . ولا أظن أني من هؤلاء . أم لك رأي آخر؟ "

ربتت على ظهره وهي تقول باعتزاز :

- " حماك الله ورعاك يا ولدي وسدد خطاك ."

غادر هاني لصلاة العشاء. ولم يُصَلِّ في مسجد الشيخ عمار كما اتفق معه حتى لا يبعث رشدي أحدًا يراقبه. فيتعرف هاني ويصل منه إلى رحمة. رجع من صلاة العشاء وجد رحمة قد استغرقت في نوم عميق. فحمد الله وقلبه يتفطر ألما لها . دق الهاتف ودارت المكالمة بينه وبين شهاب وانتابه قلق جديد على الشيخ عمار. وانطلق يعدو بكل قوته وسط رعب أمه وأخوه وأخته . وأسرع علاء خلفه . ولكنه نزل الشارع فلم يجده اختفى في لمح البصر فلقد وجد جار له سأله عن بيت الشيخ عمار فدله عليه فانطلق يعدو بكل قوته . وصل البيت صعد السلم كالصاروخ . وجد الباب مفتوحا فتحة خفيفة . كان عقله يدرس كل الاحتمالات . ربما كان ذلك المتحدث وحده . وربما كان معه آخرون . وفي كل الأحوال فهم ينتظرون أو ينتظر وبالتأكيد الفخ منصوب. ولكن ماذا يفعل ؟ تردد لحظات أمام الباب . ثم دخل بحذر وهو يقول في نفسه :

- " على بركة الله . اللهم نصرك وتأييدك "

خطى داخل الشقة وهو يرهف السمع ويحرك بصره في كل الاتجاهات . تجاوز الممر القصير ورأى الشيخ عمار وهو يخطو أول خطوة في الردهة . كان مقيدا بحبل طويل إلى مقعد في ركن الردهة. وما أن وقعت عليه عيناه . حتى انطلقت قدم شهاب إلى وجهه في ركلة أودعها كل قوته ومهارته . كان يعتمد أن يحسم المعركة بضربة واحدة. وكان يعلم أنه قادر على ذلك فالتوقيت والسرعة والقوة في هذه الضربة بالإضافة لعنصر المفاجأة . كل هذا كفيل بإنهاء المعركة .

وتفاداها هاني . ووثب مبتعدًا مواجهًا شهاب . الذي استدار له متخذا وضعا قتاليا والذهول يعصف بعقله . من هذا الذي استطاع تفادي ركلته . تطلع لهاني وعاد يفحصه . هو نفس الوصف الذي وصفه له رشدي . تفحصه وتفحص وضعه القتالي فازدادت دهشته وضعه القتالي لا يوحي بأنه لاعب كونغفو أو كاراتيه . كيف استطاع تفادي ركلته إذًا. بدأ يخطط لهجمة جديدة، هجمة لا يمكن أن يفلت منها خصمه مهما كانت براعته . وزاد حنقه ابتسامة هاني الساخرة وصوته الساخر:

- " ألم يجد ذلك المدعو رشدي غيرك يا ذا الذراع الوحدة . كان يجب أن يبحث على رجل ذو ثمان أذرع ليتغلب على هاني عامر."

تحرك شهاب يتخير نقطة هجومه وقال بتحد وغضب :

- مالا تعرفة يا أستاذ مغرور أن هذه القبضة تساوي ثمانية .

تحرك هاني بدوره بثبات من لا يخشى شيئا وهو يقول بتهكم :

- " خطأ يا فتى . القبضة تساوي قبضة لا تساوي ثمانية . يبدو أنك ضعيف في الحساب ."

وثب شهاب دفعة واحدة وهجم هجوما خاطفا بسلسلة من الضربات. يستحيل أن يفلت منها أحد . لابد أن يُصَاب بضربة على الأقل . فقد انطلقت قدماه وقبضته بسرعة وتناغم وإتقان ومهارة . ولكنها كلها أصابت الهواء .

تراجع شهاب مذهولا . من هذا الفتى بالضبط . وكيف نجح في تفادي كل هذه الضربات. إنه حتى لم يتلق ضربة واحدة . فقط تفادى وهذا وحده مذهل . بل يكاد يكون مستحيلا.

عاد شهاب يدور في المكان بوضعه القتالي المتحفز . وهو يتفحص هاني بشراسة وغضب . لم يجرب هذا الإحساس من قبل . يشعر وكأنه يقاتل شبحا ليس له وجود مادي. راح يتفحصه بحذر يبحث عن نقطة ضعف وهاني يتحرك بثبات وثقة وابتسامة تهكم لا تفارق شفتيه . قال بتهكم وهو يتوقف خلف مقعد الشيخ عمار:

- " لماذا يا فتى تسبق عضلاتك تفكيرك . لماذا لا نجلس ونتناقش بدلا من الشجار ؟ معركتك لن تكسبها بالقوة. "

اقترب شهاب بحذر وبطأ وهو يقول :

- : هل تظن حقا أنك قادر على هزيمتي ؟ هذا في أحلامك . أنا لا أُهْزَمُ ."

شرع هاني يحل قيود الشيخ عمار ببساطة وهو يقول:

- " لا يوجد على ظهر الأرض إنسان لا يُهْزَمُ. فلكل قوي أقوى منه . وكونك لم تُهْزَمْ من قبل، ليس هذا دليل على أنك لا تُهزَم . بل دليل على أنك لم تقابل الشخص القادر على هزيمتك بعد .

واتسعت ابتسامته بأسلوب استعراضي واستطرد:

- " ويسعدني ألا أحرمك تعلم هذا الدرس ."

وثب شهاب في نفس اللحظة التي انتهى فيها هاني من فك عقدة الحبل . تجاوز مقعد الشيخ عمار وضربت قدمه الهواء من جديد . وتحرك خلف هاني بسلسلة أشد عنفا وسرعة . وكل ضرباته لم تفز ولو بلمسة واحدة لجسد هاني . ولكن شهاب لم يتوقف واصل ضرباته لكمات وركلات . استنفذ كل ما تعلم من ضربات بلا جدوى . ولم يكتف هاني بالتفادي ولكنه كان ينتظر اللحظة المنا سبة . ينتظر لحظة أن يفقد شهاب تركيزه . وها قد بدأ . وتحرك هاني . دار على عقبه موجها ركلة أودعها كل قوته إلى صدر شهاب . الذي اختل توزنه إذ اندفع للخلف . ولكنه لم يسقط . تراجع يراقب هاني من جديد . وتراجع هاني بدوره إلى حيث الشيخ عمار الذي تخلص من الحبل ووقف يراقب المعركة بذهول . سأله هاني :

- هل أنت بخير يا سيدي ؟ هل أذاك ذلك الشاب ؟

ربت الشيخ عمار على ظهر هاني قائلا بامتنان اختلط بإعجاب لا يقل عنه :

- " اطمئن يا ولدي . أنا بخير والحمد لله . انتبه لنفسك حماك الله الكريم ."

وجه هاني حديثه لشهاب قائلا :

- " ولكنك تروق لي يا فتى . لقد تعلمت منك كثيرا . و أظن أنني قد أتعلم أكثر لو استمر قتالنا أكثر . ولكن للأسف ليس لدي وقت .

التقط الحبل من على الأرض بحذر وسرعة . وعيناه لا تفارقان شهاب . وتابع :

- " ما ذا تريد بالضبط ؟ ربما كان بالإمكان التفاهم."

تحرك شهاب بعصبية والغضب تغلي به دماؤه وهو يقول :

- " رشدي بيك يريدك والسيدة رحمة ."

انقض على هاني ولكن هذه المرة التقط مقعدًا وألقاه على وجه هاني ووثب حيث مال هاني ليتفادى المقعد وطارت قدميه واحدة لصدر هاني والأخرى لوجهه . ولكن هاني توقع هذا فانزلق ليعبر شهاب من فوقه . هبط شهاب على قدميه خلف هاني فاستدار بحنق ليتابع هجومه على هاني وقد بلغ غضبه ذروته . ولكن شيئًا ما عاق حركته . حاول أن يخلص قدميه ويحفظ توازنه ولكنه لم يستطع وسقط حاول أن يعتدل بسرعة ولكن هاني جذبه بقوة من الحبل الذي لفه حول قدميه ليجره ويضرب به الحائط. وقبل أن يفيق من صدمته كان هاني قد أحكم عقدته. فثنى شهاب ساقيه وضرب بهما صدر هاني بكل قوته فقذف جسد هاني بقوة ليرتطم بالمنضدة بقوة ويسقط بها أرضا . دفع قدميه عاليا معتمدا على كتفيه ورأسه ليدفع

جسده لأعلى ويستقر على قدميه . وهوى شيء ثقيل على رأسه بقوة أفقدته صوابه استدار بسرعة ليجد الشيخ عمار يهوي عليه بالمقعد بكل قوته وسقط فاقدا وعيه .

(٦)- زهرة مفترسة

وقفت هدير تراقب زهرتها وهي تلتهم قطعة اللحم الضخمة بانبهار في ضوء قمر تلك الليلة الصافية إلا من سحب قليلة. تعقد ساعديها أمام صدرها تضمها إلى صدرها بشدة فرغم هدوء الرياح إلا أن درجة الحرارة كانت منخفضة جدا. فتحت الزهرة ما يشبه الفم في قلب تاجها ، والتهمت قطعة اللحم به . ولم تستطع ألا تندهش من عدم رؤية انبعاجا في عنق الزهرة على الرغم انها رأت ذلك أكثر من مرة وفي كل مرة تندهش . بل وتزداد دهشتها. فاللحم يذوب في فم الزهرة بسرعة عجيبة.

رفعت الزهرة ورقتين من أوراقها الشريطية الطويلة أمسكتا يدي هدير وكأنهما يدان نباتيتان بلا أكف أو أصابع. تتوجه نحوها بتاجها وأوراقها وكأنها ترنو إليها بامتنان كبير. التفت الورقتان حول معصمي هدير وساعديها وجذبتها إليها برفق .

استجابت هدير واقتربت من الزهرة وهي . تقول بمرح :

~ " هل تنوين التهامي أنا أيضا ؟ "

التفت الاوراق حول جسد هدير كله وحملتها وغلفتها بالكامل وسرى دفء عجيب في جسد هدير اشترك مع الرائحة الساحرة لينقلاها إلا عالم من الخيال.

أغمضت عينيها واستسلمت تماما وهي تشعر بارتياح شديد ، وكأنها تنام في فراش من حرير يطفو على سطح ماء هادئ يتموج كأم تهدهد طفلها لينام .

وغاصت في نوم جميل . عالم ساحر أنساها عالمها كليا. حتى أمها أحب مخلوق يمشي على الأرض إلى قلبها. في أحلك أيام حياتها. حتى وهي تجهل ما أصابها. نسيتها تماما. وربما وجدتها فرصة للهرب من حياتها الكئيبة الحزينة.

ورأت نفس الشاب الذي رأته في الليلة الماضية في نومها. وعاد زهنها يومض بقوة. من هو ؟وما علاقته بزهرتها؟ وأين قابلته؟ إنها على يقين أنها تعرف ذلك الشخص. لقد رأته من قبل. ولكن منذ زمن طويل. منذ سنوات . ربما أكثر من عشر سنوات. كلما اقترب منها كلما ازداد وميض في رأسها ، وشعرت بالنور يتسلل إلى ذلك الركن المظلم من ذاكرتها حيث يتوارى صاحب ذلك الوجه.

توقف أمامها وهي تسأله بخفوت وحياء:

— " من أنت ؟ وما علاقتك بزهرتي ؟ وما هذا المكان ؟ "

تأملت المكان حولها مندهشة. الظلام ينشر عباءته على المكان كله إلا من أشعة واهنة من ضوء القمر والبيوت المجاورة يتسلل من نوافذ محطمة نخر السوس ما تبقى من أخشابها. أثاث المنزل كله قديم محطم متناثر إلى قطع هنا وهناك. رائحة عطنة تنتشر في المكان لولا رائحة الشاب الساحرة ما احتملتها. والصمت يعتلي عرش المكان لا يأذن إلا لصوت أنفاسها.

عادت تلتفت إليه بحيرة فقابلها وجهه البشوش بابتسامة امتنان ملأها حب عميق ، أشرقت له عيناه فارتجف كيانها كله . وانتفض قلبها بين ضلوعها. وتحرك نبض قلبها. لم تشعر به ينبض هكذا من قبل. شعرت بفرحة عجيبة تغمر كيانها كله . شعرت وكأن لها جناحان تخفق بهما تطير تحلق في عالم من السرور . خرج صوتها خافتا هامسا بانبهار وذهول:

ـــ " من أنت ؟ "

سمعت صوت أبيها يتسلل إلى أذنيها من بعيد يصرخ بأعلى صوته. التفتت إلى مصدر الصوت. عبرت عيناها النافذة المتهالكة نحو مصدر الصوت لترى بيتها بأشجاره العالية السوداء كأنها أشباح بفعل الظلام. وعادت صرخات أبيها ترتفع ولكن من مسافة أقرب تلفتت حولها بفزع. كل شيء يتلاشى حتى الشاب وصرخة ألم بددت ما حولها تماما. فانتزعتها من حلمها الجميل .انتفضت في رعب واعتدلت واقفة بين أغصن الزهرة التي حررتها، فشعرت البرد يتسلل إلى أطرافها من جديد ، وتناهى إلى مسامعها أصواتا غريبة مختلطة وكأنه شجار عنيف . رفعت بصرها إلى مصدر الصوت. إنه يأتي من غرفتها. تذكرت حلمها حين نظرت إلى بيتها من البيت القديم المهجور التي كانت تقف فيه مع فتى الحلم. نقلت بصرها إلى الناحية الأخرى لترى الفيلا المهجورة المجاورة لفيلتها. وتذكرت الشاب. كان ابن صاحب الفيلا. ولكن ما علاقته بزهرتها. ودوت صيحة ألم من صدر أبيها. قوية واضحة التفتت مرة أخرى. رأت جسد أبيها يتدلى من نافذة حجرتها والدماء تغرق صدره.

وأشرف ابن عمها جابر يطل من النافذة بملامحه المقيتة. وانطلقت من بين شفتيها صرخة فزع وهي تخمر وجهها بغطاء شعرها. التفت إليها أشرف وعلى شفتيه ابتسامة شرسة. ووثب من النافذة وثبة رشيقة قوية. حاول أن يتجاوز بها جسد رشدي المتدلي من النافذة ولكنه فشل في ذلك .وارتطم مرفقه القوي برأس رشدي الذي تهاوت أنامله على حافة النافذة . وشهقت هدير بارتياع وذهول وهي تسمع صوت اصطدام رأس أبيها بالأرض الرخامية المجاورة لجدار المنزل . صوت تحطم عظام اختلط بصيحة ألم رهيبة توقف لها قلب هدير عن النبض. وتوقفت عيناها على جسد أبيها الذي خمدت حركته تماما ورأت على ضوء الحديقة الشاحب الدماء التي كونت بركة عند رأسه تزداد مساحتها بسرعه.

فوجئت بأشرف يقبض على عضدها بقوة وصوته أشبه بصوت وحش غاضب مجنون يأتي من أعماق سحيقة:

- " ليس أشرف جابر من يعامل كنكرة. من ظننت نفسك كي ترفضينني ؟ "

قالها وهو يجذبها إلى صدره بقوة وهي تنتفض برعب ولوعة على أبيها وقد استولى عليها ذهول سلبها كل إرادتها ووعيها، فصارت تشعر بما حولها كأنها في كابوس .

جذبها أشرف إلى صدره وهو يحاول أن يطوقها بذراعيه ولم تقاوم هي بل لم تنتبه حتى إلى انكشاف وجهها ، كانت مسلوبة الإرادة تماما وكأنها غير واعية. ورأى جسدها يميل مع جذبته إلى صدره بسلاسة ودون مقاومة. ولكن ..... شيئا ما حال

بينهما ظن أنه يديها . ولكن نظرتها لجسد أبيها وتر اخي جسدها و.... والذي حال بينهما يلتف حول وسطه وكأنه ثعبان. انتفض فزعا للفكرة وتخلى عن هدير وقبض على ذلك الشيء الذي يطوقه. وأذهله أنها ورقة شجر، وطوق معصميه ورقتان أخرتان. وأخرتان طوقتا ساقيه وارتفع جسده عن الأرض وأخيرة تطوق عنقه . ارتفع جسده عن الأرض لأكثر من مترين. وضربت به الزهرة الأرض بقوة . راح أشرف يصرخ برعب هيستيري. والزهرة ترفعه وتضرب به الأرض بقوة. وثب صديقيه من فوق السور وأسرعا إليه. وفي يد كل منهما سيف قصير عريض أسود لامع. وقفا غير مصدقين أعينهما في البداية. ثم انقضا على الزهرة بسيفيهما. فألقت أشرف بكل قواها جانبا فاصطدم بأعلى سور الحديقة بدوي مكتوم مع صرخة ألم ورعب. ثم سقط في الناحية الأخرى.

هوى الشابان على الزهرة بسيفيهما . ودارت معركة عجيبة بين شابين وزهرة. وقبل أن تنتهي سمعوا جميعا صرخات رعب وألم غير محدودين تنبعث من حنجرة أشرف . فازدادت شراستهما في قتال الزهرة. وانتهت المعركة بانتصارهما وبتمزيق الزهرة تماما. اجتثوها من فوق الأرض. ولكن صرخات أشرف أيضا كانت قد تلاشت وساد صمت مخيف إلا من بكاء هدير غير الواعي وهي لا تزال واقفة مكانها تنقل بصرها بينهما وزهرتها الممزقة وأبيها الراقد بلا حراك . وقد أصيبت بشلل في تفكيرها وفي أطرافها حتى نبضها و أنفاسها. واندفع الشابان إلى حيث سقط صاحبهما. واعتلى أحدهما السور ونظر. ثم وثب وصاحبه يسأله بقلق ودهشة:

- " ماذا ترى؟ ألا تراه ؟ لا يمكن أن يكون قد ابتعد. "

أتته إجابة صاحبه تشعل قلقه أكثر:

- " مستحيل!! "

رمق هدير بنظرة نارية ثم اقترب من السور وقطرات مطر وليد تسقط على وجهه وقال بمزيج من التوتر والقلق والغضب:

- " ماذا أصابه ؟ أخبرني ؟ "

قال صاحبه بحيرة ورعب:

- " هذه الملابس تشبه ملابسه. ولكن ..... ابتعد عني. أدركني يا وليد. "

قالها وتعالت صيحات رعب هائلة.

اندفع وليد إلى السور واعتلاه. ورأى ما تجمدت له أطرافه وتوقف له قلبه. رأى رأس صاحبه فيما يشبه الفم لزهرة مثل التي مزقها هو وصاحبه من قليل وجسده قد كف على المقاومة والزهرة تحمله من أطرافه الأربعة. وتدفعه إلى فمها الذي يبتلعه بسرعة و أسلوب عجيب. كل ما يدخل الفم يذوب بسرعة و.....

وانتهى الأمر في ثوان.

تراجع وليد مرعوبا ثم التفت إلى هدير التي لا تزال جامدة . تبكي تعجز عن خطوة واحدة. تتملكها حالة الرعب والصدمة والذهول. فانقض عليها شاهرا سيفه هاتفا بكل انفعالاته:

- " كل هذا بسببك أيتها الشيطانة. سأمزقك كما فعلت بزهرتك الشيطانية."

اقترب منها وهي تنظر إليه مرتجفة وكاد يهوي بسيفه عليها لولا أن رأى الأرض تتحرك بينه وبينها وترتفع بصوت سببه الوحل الناتج من المطر . كأن شيئا يحاول الخروج.

توقف وهو يرى شيئا بالفعل يبرز من تحت الأرض. ارتجف رعبا وذلك الكائن يخرج من حفرته ببطء وينتصب واقفا على قدميه . الجسد مغطى بالوحل والجذور النباتية والشعيرات الجذرية تتدلى منه. تراجع وليد فتقدم نحوه ذلك الكائن. استدار وليد وانطلق كالرياح، يحركه رعب الدنيا . وثب من فوق السور ولم ينتبه من فرط رعبه أنه ذهب إلى حيث ذهب رفيقاه.

(٧) - فتى الزهرة

أغلق هاني باب السيارة الأجرة خلفه واعتدل بجوار شهاب بملامحه الصارمة وإن بدى عليه حنق كبير. قال بابتسامة عريضة ولهجة شابها شيء من التهكم:

- " أليس هذا أفضل يا ذا الذراع الواحدة ؟ "

نظر إليه شهاب بتساؤل والغضب يملأ عينيه. فتابع هاني:

- " أقصد الحوار. لو بدأت لقاءك معي بالحوار بدلا من الضرب. لم جُرحت في رأسك."

بادله شهاب السخرية ولكن بغضب وهو يقول:

- " هذا ببساطة لأني لم أتوقع أنك غبي. "

استرخى هاني في مقعده وهو يغمض عينيه ويقول:

- " وما الغباء في ذلك ؟ "

اعتدل شهاب مواجها هاني والسيارة تنطلق نحو بيت رشدي، وقال بغضب وحيرة:

- " أنا فعلا لا أستطيع أن أفهم موقفك. لماذا يريدك رشدي بيك؟ هل يمكنك التخمين؟ زوجته تخونه، وتهرب معك. فماذا يريد منك؟

أجابه هاني ببساطة ودون أن يفتح عينيه:

- " يمزقني طبعا. "

قال بتهكم مسرحي:

- " يا للعبقرية ! وهل عرفت ذلك وحدك أم أخبرك به أحد؟ "

استطرد هاني بنفس الهدوء كأنه لم يسمعه:

- " ولكن وافقت على مقابلته لسببين، الأول أن زوجته لم تخنه كما صور لك، لذلك فالانتقام لن يصل للقتل. هو فقط يريد أن يثأر لكرامته. لأني بعثرتها عندما قيدته كالبعير وأنقذت زوجته منه قبل أن يقتلها. ثانيا أنا أثق في الله ثم في نفسي. فلن يستطيع إيذائي إن شاء الله. "

- " هل تتوقع مني أن أصدقك ؟ "

فتح هاني عينيه ونظر إليه قائلا :

-" لا طبعا. فأنت شخص مندفع. عقلك يقف خلف أذنك وليس أمامها. فمن الطبيعي أن تصدق أول كلمات تصل إليها."

قطب شهاب حاجبية في غضب. وشد قبضته وهو يقول من بين أسنانه:

-" ولماذا أصدقك أنت؟ "

اعتدل هاني مواجها شهاب ويقول بجدية:

- " اهدأ يا صديقي واسمعني. كلامه يحتمل الصدق والكذب وكلامي يحتمل الصدق والكذب. لذلك يلزمك دليل لتصدق أحد القولين. أليس هذا كلاما منطقيا ؟ "

تطلع إليه شهاب بصمت يوافق على قوله، ولكن لسانه رفض الإقرار بصحة الكلام. فابتسم هاني قائلا:

-" السكوت علامة الرضا. المدعو رشدي المحترم لا يملك دليلا على صدق كلامه، ببساطة لأنه لا توجد علاقة بيني وبين السيدة رحمة. أما أنا فأملك أكثر من دليل.

ظل شهب صامتا يتأمل هاني وهو يتكلم بتفكير عميق. وهاني يستطرد قائلا:

- " الدليل الأول، أني كنت مرتبطا بفتاة كانت حلم حياتي، انتهت قصتي بها الأمس فقط . وليس من الطبيعي أن أقابل السيدة رحمة وتتطور العلاقة بيننا للهرب في يوم واحد. ويمكنني أن أثبت لك ذلك بعشرات الأدلة. الدليل الثاني السيدة رحمة نفسها، أخذي لها كان إنقاذا لها من تعذيبه لها. وآثار هذا التعذيب جلية عليها، فهي الآن طريحة الفراش بسبب جراحها. و لولا تدخلي لكانت الآن في عداد الموتى. الدليل الثالث مكان الجريمة، حجرة السيدة رحمة، أكيد ستجد فيه آثار

تعذيبه لها. فمهما نظفته هدير لن يخلو من أثر. الدليل الرابع، هدير نفسها ،فلتسألها عما حدث. والخامس البواب الذي سمح لي بالدخول بكل بساطة."

- " لقد طرد البواب. "

- " وهذا نفسه دليل. "

صمت هاني ليعطيه فرصة لتقليب كلامه في رأسه. وصمت شهاب مفكرا لدقائق ثم قال:

- " كلامك يبدو منطقيا ولكن..... "

صمت وكأنه يبحث عن شيء يعترض به فقال هاني ليوفر عليه عناء البحث:

- " والاعتراف سيد الأدلة. "

أشار شهاب إلى سائق السيارة قائلا:

- " بجوار تلك البوابة لو سمحت يا أسطى. "

ثم قال لهاني وهما يترجلان من السيارة كل من الباب المجاور له:

- " ماذا تقصد ؟ "

أغلقا بابي السيارة وهاني يقول بابتسامة واثقة:

- " سأجعل الأستاذ رشدي يعترف أمامك بالحقيقة."

دفع شهاب ورقة نقدية إلى السائق وهو يقول بابتسامة يراها هاني لأول مرة منذ رأى شهاب:

- " تعجبني ثقتك في نفسك يا فتى. "

تحركت السيارة وهاني يقول بمرح:

- " اسمي هاني. وطالما تمشي مع هاني ستنبهر دائما بها..... "

صمت فجأة وتجمدت ابتسامته وتحفز جسده وتحفز شهاب بدوره دون أن يدري السبب. واتضحت صرخات وليد المرعوبة من داخل الفيلا. فانطلقا بعدما تبادلا نظرة اتفاق نحو البوابة المغلقة وتسلقاها برشاقة ورغم أن شهاب بذراع واحدة، إلا أنه لم يتأخر عن هاني . انطلقا نحو مصدر الصوت الذي ابتعد بدوره ثم ازداد رعبا وألما و .....

هدأ الصوت وتوقفا في ذهول ينظران إلى هدير المرتجفة بعيون ذاهلة. وذلك الشيء غير واضح المعالم والذي تتدلى منه الجذور النباتية. كان واقفا على ساقين منتصبا كما لو كان رجلا ويضع ما يشبه اليدين على كتفي هدير . تحرك الاثنان في آن واحد. وما أن وصلا إليهما حتى سقط ذلك الشيء أرضا بلا حراك. توقفا وذهولهما يتضاعف ونظرا إلى وجه هدير الذي تراقص في ملامحه رعب وذهول غيباها عن العالم.

هتف فيها شهاب :

-" ماذا حدث يا آنسة هدير؟ ومن هذا الذي كان يصرخ؟ و أين ذهب ؟"

نظرت إليه بنظرة خاوية وكأنها لا تراه . فارتبك. ربما ليست هي هدير هذه المرة الأولى التي يرى فيها وجهها. فر..... قطع أفكاره صفعة قوية هوى بها هاني على وجه هدير ، التي انفجرت مرة واحدة باكية وصرخت وهي تشير إلى أبيها:

- " أبي.. أبي .. لقد قتل أبي ."

اندفع شهاب إلى أبيها في حين انحنى هاني على الكائن الغريب يفحصه. ثم قطع أحد الجزور كان يتدلى ومازال مرتبطا بالأرض .وقال لهدير :

- " هذا الذي قتل أباك ؟"

انهارت هدير على ركبتيها وقالت كلمات بصوت مزقه البكاء . فتساقطت أحرف غير منسقة لا معنى لها. عاد شهاب وحزن وغضب الدنيا يتفجر في صوته:

- " لقد مات رشدي بيك. هل ذلك الشيء هو المسئول؟ "

قالت هدير من بين بكائها و هي تدفن وجهها بين كفيها وصوت بوق سيارات الشرطة يقترب:

-" هذا ضحَّى بحياته من أجلي. هو الذي أنقذ حياتي. "

وقف هاني وهو يقول بسرعة :

– " الشرطة قادمة. آنسة هدير، أنا وشهاب سنغادر بهذا الفتى حتى لا نُقْحَمُ في المشكلة. أنت لم ترينا الآن. هيا يا شهاب عاوني في حمل هذا الفتى ، يجب أن يختفي معنا."

صاح شهاب بذهول:

– " فتى ؟! أي فتى ؟!"

صاح هاني وصوت سيارات الشرطة يقترب أكثر:

– " هيا ، لا وقت لدينا. "

أراد شهاب أن يعترض ولكن كلام هاني كان حازما ومنطقيا فحمل معه الكائن وهاني يصيح:

– " هيا إلى سور هذه الفيلا المهجورة . "

تعاونا في حمله . وشهاب يتساءل في نفسه بحيرة :

– " لماذا أطلق هاني على هذا الشيء فتى ؟ ولماذا أطيع أنا هاني أصلا ؟ وطالما لم يقتل هذا السيد رشدي فمن الذي فعل؟"

وصلا للسور ، أمره هاني بالصعود أولا ثم رفع إليه الكائن الغريب، وأسرع يعتلي السور وعاونه على جذبه ثم نزل في الناحية الأخرى وكاد ينزلق على شيء معدني

وهو يلتقط الكائن. وما أن وضعه أرضا حتى نظر تحت قدميه وشهاب يهبط بجواره ويسأله بصوت خافت وسيارات الشرطة تتوقف عند بوابة بيت هدير:

-" لماذا سميت هذا الشيء فتى؟ ولماذا أنت حريص عليه هكذا؟"

تأمل هاني السيوف الثلاثة دون أن يلتقطها. سائل أخضر يخضب اثنين منهما ، والثالث تخضبه الدماء وقال وهو يفكر بعمق:

- " هذا لأنه فتى بالفعل. ولا تسألني كيف وصل إلى هنا . ولكن انظر إلى هذه السيوف. "

كان شهاب يتأمل السيوف في يد هاني باهتمام ، والأخير يتابع بتفكير :

- " هذا السيف ملطخ بالدماء . أعتقد أن صاحبه هو قاتل السيد رشدي. وهذان السيفان عليهما مادة خضراء أظن أنهما لشابين مزقا نبات ما، كان حيث تركنا هدير. وهذا الفتى خرج من تحت النبات لإنقاذ هدير منهم. ولا أملك تفسيرا. ولا أعرف لماذا تركوا سيوفهم هنا. إنها دليل إدانة عليهم . لماذا تركوها وهربوا. "

رفع بصره إلى شهاب يرى رأيه في كلامه. فوجده يدفعه بعيدا والرعب يحتل ملامح وجهه ونبرات صوته وهو يقول :

- " لم يهربوا. لقد افترستهم هذه الزهرة.

استجاب هاني لدفعة شهاب وهو ينظر إلى تلك الزهرة التي تتوجه إليهم بكيانها كله. وأوراقها الشريطية الطويلة تتراقص في الهواء وكأنها تسبح في الماء. وشعر بالرعب يحرك نبض قلبه.

أشار شهاب إلى الملابس المهترئة وهما يتراجعان :

- " وهذه ملابسهم. "

قال هاني ذاهلا وصوت رجال الشرطة يقتحمون الفيلا يصل إلى مسامعه :

- " هل نحن في حلم ؟ "

قال له شهاب وهو يجذبه من معصمه :

- المهم أن نبتعد بسرعة . الشرطة ستأتي إلى هنا سريعا.

- " أنا سأبتعد مع هذا الفتى وأنت تعود إلى هدير . لا تتركها وحدها حتى تنتهي التحقيقات ثم تحضرها إلى بيتي . سأراك هناك إن شاء الله. "

أعطاه هاني عنوانه. قبل أن يتحرك في خفة. مختفيا خلف البيت المهجور.

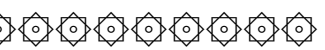

توقفت سيارة فيات حمراء قديمة على مدخل شارع ضيق. فأسرع هاني يحمل الفتى وهو يرتجف بردا ، و قائد السيارة يعاونه على وضعه في السيارة وهو يسأل هاني بذهول:

- " ما هذا الشيء بالضبط؟ "

ارتجف هاني وهو يدخل السيارة ويقول:

- " صديق لي . أخبرني أنت ما الذي أخرك هكذا لقد تجمدت أطرافي من البرد وأنا أنتظر جنابك. "

أغلق هاني باب السيارة ليشعر بالدفء يسري في أوصاله . وصاحبه يقول وهو يحتل مقعد القيادة :

- " يا ابني أنا طبيب، ما أنا رجل عصابات، ولا خادم عندك. "

- " قلبك أبيض يا عم إبراهيم. لا أثق في طبيب غيرك. هل أحضرت الملابس التي طلبتها منك. "

التقط إبراهيم حقيبة صغيرة من المقعد المجاور وألقاها إلى هاني في المقعد الخلفي قائلا بمرح :

- " ها هي يا أستاذ. وهل هذا من أعمال الطب؟ يا حبيبي أنت تلجأ إلي لأنني لا أتقاضى منك أجرا. "

انطلق بالسيارة وهو يستطرد:

- " ثم إنك تأتيني بحالات غريبة هذه الأيام. يبدو أنك بدأت تسلك طريق الإجرام . "

بدأ هاني يذيل الجزور النباتية والغشاء النباتي الذي يغلف جسد الفتى. وتأمل جسده بدهشة. كان يتوقع أن يرى شيئا غريبا في جسده ، فوجده إنسانا طبيعيا تماما. قال إبراهيم وهو يتابعه في مرآة السيارة :

– " لا أدري ماذا يفعل صديقك في هذا الزي العجيب ولا لماذا هو فاقد الوعي، هو فاقد الوعي طبعا وليس ميتا. أليس كذلك؟ "

انتهى هاني من تنظيف نصفه العلوي من الجزور، وبدأ يمسحه بمناديل ورقية كانت في السيارة وهو يجيبه :

–" فاقد الوعي، ولكني أريد منك أن تفحصه فحصا تاما فلقد أخرجته توا من معركة طاحنة. وأريد أن أطمئن عليه. "

– " إذن نذهب إلى العيادة. والله ياحبيبي يبدو أن نقابة الأطباء ستعطيني كارت أحمر على يديك. "

ابتسم هاني وهو يلبس الشاب القميص الذي أحضره إبراهيم. وقال:

– " هل تمزح يا إبراهيم. يفصلوك من النقابة وأنا موجود. ألا تعرف من هو هاني عامر ؟ "

– " المشكلة أني أعرفه جيدا. المهم سيادتك، من سينظف السيارة، بعد أن تنتهي من هذه العملية الغريبة؟ "

- " أسرع فقط يا دكتور. وأعدك أن أنظفها قبل أن أنزل منها إن شاء الله.

وصلا العيادة. وفحص إبراهيم الشاب وهاني يتأمل الشاب بدهشة. فالشاب طبيعي جدا ولكنه ضعيف جدا. وفقدانه وعيه نتيجة لانخفاض مفاجئ في الضغط مع ضعفه الشديد. فأعطاه بعض العقاقير. وظل هاني بجواره حتى استعاد وعيه. فخفق قلب هاني عندما فتح الشاب عينيه. فمال نحوه وهو يمسح على شعره بحنان هامسا:

- " هل أنت بخير؟ "

التفت الشاب إلى هاني بإعياء هامسا بضعف:

- " الحمد لله "

صمت لحظات ثم قال:

- " من أنتما؟ وأين أنا؟ وما الذي حدث؟ "

ربت هاني على رأسه بحنان قائلا:

- " لا تشغل بالك بشيء الآن. أنت تحتاج إلى راحة. أخبرني فقط من أنت؟ "

صمت الشاب وشرد ببصره بتفكير عميق وحيرة شديدة. ثم قال بارتباك وإعياء:

- " من أنا ؟..... حقا لا ... . لا أدري... أنا لا أذكر شيئا . ما الذي حدث بالضبط؟

تعلق بذراع هاني مستغيثا. فربت على كتفه وإبراهيم يقول:

- " يبدو أنه يعاني من فقدان للذاكرة. "

قال هاني وهو ينهض :

- " حقيقة إضافة رائعة. "

ابتسم إبراهيم قائلا:

- " شكرا جزيلا على هذا الإطراء ."

قال هاني وهو ينظر في ساعته:

- " هيا بنا ، لقد تجاوزت الساعة الواحدة. لقد تأخرنا كثيرا.

جلس الشيخ عمار إلى جوار رحمة الراقدة في فراشها في بيت هاني تتدثر بغطاء ثقيل. ترتجف بردا ورعبا. يسري التوتر في عروقها . وهو يسألها بكل حبه لها وقلقه عليها:

- " كيف حالك ا لآن يا حبيبتي؟ "

قالت بصوتها الحزين المرتجف الذي أنهكته جراحها:

- " الحمد لله يا أبي. ألم يتفق معك هاني ألا تأتي لزيارتي هذه الأيام. حتى لا يستطيع رشدي التوصل إلى مكاني. "

مسح على رأسها قائلا:

- " لا تقلقي يا حبيبتي. سيكون كل شيء على ما يرام . ولن يؤذيك رشدي بعد اليوم. لقد تهاونت في حقك كثيرا. وآن الأوان لغلق باب التنازلات."

ترددت في سؤاله عن هاني. تعلم أنه نزل مسرعا إصر مكالمة تليفونية متجها إلى بيت أبيها. ثم جاء أبوها وحده . ولم تسمع صوته. ترددت قليلا ثم حسمت أمرها وسألته تجاهد في إخفاء لهفتها:

- " لماذا ذهب إليك هاني ؟ وأين هو؟"

تردد أيخبرها بالحقيقة أم يواري. ثم حسم أمره:

- " لقد ذهب لزوجك مع حارسه الشخصي. "

شهقت بفزع وقالت بصوت مرتجف:

- " ذهب أين ؟! إلى رشدي ؟! هل تمزح ؟!

ارتبك لأسلوبها وانتابه القلق وبدى ذلك واضحا في صوته:

- " هو الذي أصر. وطلب مني أن آتي إلى هنا. وذهب مع حارس رشدي. وقال لي أن لديه خطة. "

ازداد صوتها ارتجافا وبدت عليه ملامح بكاء:

- " رشدي. مع رشدي لا تفلح خطط ولا يجدي نقاش. لأنه لا يعرف إلا ما يريد. وهو لا يريد من هاني إلا الانتقام. كيف تسمح له بالذهاب. ياإلهي رحمتك. "

ازداد ارتباكه وخوفه على هاني، فقال بصوت مرتبك:

- " بدى واثقا من نفسه جدا. مما أعطاني فيه ثقة أكثر. لقد بدا واعيا منتبها جيدا لما هو ذاهب إليه. "

بكت رحمة وجسدها كله يرتجف.

طبع قبلة حانية على جبينها ثم أردف بإشفاق:

- " لا تقلقي يا حبيبتي. لن يصيبه مكروه بإذن الله. هاني ليس شابا عاديا. إنه ذكي جدا وذكاؤه خاضع لحكمة توجهه وتصرفه. كما أنه رياضي يتمتع بجسد قوي بمرونة وسرعة بديهة فائقتين. ليس من السهل التغلب عليه لا عقلا ولا جسدا. "

لم تجبه وإن طمأنتها كلماته قليلا، ولكن ليس لدرجة أن تكف جوارحها عن الارتجاف. ولا قلبها عن الخفقان، ولا للدرجة الكافية لتبديد سحب الخوف التي غيمت على عقلها. فغدت تسمع أباها وتراه كما لو كانت في حلم كئيب.

لم تدر كم مر عليها من وقت، فقط قلبها وسمعها معلقان بكل صوت يصدر خارج الغرفة. وكادت تقفز من فراشها عندما سمعت صوته. انتفضت انتفاضة حركت

الألم في كل جراحها. بيد أن سعادتها بسماع صوته وأد آلامها كلها دفعة واحدة. قشع سحب مخاوفها. وسكنت له جوارحها وتهللت أساريرها.

تمنت لو يأتي إلى حجرتها مسرعا ولكنه لم يفعل. وخفق قلبها بسعادة بالغة عندما سأل أخته منار عنها. ولم تعد تشعر بأبيها كليا. والذي لاحظ التغير الذي طرأ عليها. كان كيانها كله متعلق بما تلتقطه أذنها من حديث خارج حجرتها. فهمت أن هاني معه صديقه الطبيب وشاب آخر مريض. طلب هاني من منار أن تجهز له عشاء. ولم يلبث صاحبه الطبيب أن غادر بعد وقت مر عليها كدهر. أسدلت نقابها على وجهها عندما سمعت طرقاته الرقيقة على الباب وطرقات قلبها لها دوي أعلى.

تعلقت عيناها بوجهه عندما أشرق على حجرتها وهي تهمس:

- " حمدا لله على سلامتك. "

صافح الشيخ عمار هاني بحرارة قائلا:

- " حمدا لله على سلامتك. ما الذي حدث؟ "

تطلع هاني إلى رحمة وهو يجيبه برنة حزن:

- " الذي حدث لم يكن أبدا في الحسبان. "

التقت عيناه بعينيها الزيتونيتين باهرتي الحسن خاصة بعد أن خفت ذبولهما، وبدت فيهما مسحة من سعادة. شعر بقوة غريبة في عينيها قوة جذب تصعب مقاومتها.

فغاص في بحرين من رقة فياضة امتزجا لتذيب أمواج الرقة جبال إرهاقه وتبث الدفء في قلبه لتستكين له جوارحه كلها.

- " ما الذي حدث يا بني؟ أخبرني بالله عليك. لقد اكتفيت من القلق. "

انتزع هاني عينيه من عينيها محرجا. ووجههما إلى عيني الشيخ عمار قائلا بأسف شابه ارتباك:

- " لا أدري كيف أنقل الخبر. ولا أعرف ما وقعه عليكما .. إن ..."

شجعه الشيخ عمار قائلا:

- " تكلم يا ولدي ، ماذا حدث ؟ "

نقل هاني بصره بينهما لحظات ثم قال:

- " الاستاذ رشدي..... لقد قُتِلَ... "

شهقت رحمة واتسعت عيناها ذهولا وكذلك أباها اتسعت عيناه ذهولا غير أنه قال سريعا بخشوع:

- " لا حول ولا قوة إلا بالله. إن لله وإن إليه راجعون. "

خيم الصمت على الحجرة إلا من بكاء رحمة. قطعه الشيخ عمار سائلا هاني:

- " من فعل هذا يا بني ؟ وكيف؟ هل تعلم عن ذلك شيئا ؟ "

- " لا أدري إلا أنهم كانوا ثلاثة. طعنه أحدهم بسيف وألقاه من النافذة . "

قالت رحمة من بين دموعها:

- " وهدير ابنتي، هل أصابها مكروه؟ "

تطلع هاني إلى عينيها الدامعتين بإشفاق قائلا:

- " هي بخير والحمد لله. لقد أنقذها شاب غريب قبيل وصولي وشهاب بلحظات. وهو في حجرتي الآن. "

قالت رحمة بصوت متهدج بالبكاء:

- " ولماذا لم تأت معك ؟ "

قال دون أن ينظر إلى عينيها:

- " لقد طلبت من شهاب أن يحضرها إلى هنا بمجرد أن تنتهي تحقيقات الشرطة. "

سألته وهي تجفف دموعها بأناملها الدقيقة البضة التي تتراقص الرقة عليها:

- " مَن شهاب هذا ؟ لقد ذكرته أكثر من مرة. "

قال وهو ينتزع عينيه من أناملها:

- " إنه الحارس الشخصي للأستاذ رشدي. كان هذا يومه الأول في العمل معه. "

ظهر القلق جليا في نبرات صوتها وهي تقول:

- " وهل تثق في شهاب هذا لدرجة أن تترك ابنتي معه وحدهما بعد منتصف الليل. "

نظر هاني للأرض قائلا:

- " أنا لم أقابله إلا من سويعات قليلة . ولكني أظنه أهلا للثقة. وإن شئت ذهبت إليها الآن فأحضرها لك فورا. "

نهض الشيخ عمار واقفا وهو يقول بحزم:

- " لا يا ولدي لقد أتعبناك كثيرا ، بارك الله فيك. أنا سأذهب إليها. "

ثم التفت إلى رحمة قائلا لكي لا يسمح لهاني بالاعتراض:

- " وسآخذها إلى بيتي وسأتصل بكِ بمجرد أن أصل. وسنأتي غدا لزيارتك إن شاء الله. "

نهض هاني وهو يقول:

- " سآتي معك يا سيدي. "

- " كلا يا هاني . ينبغي أن تستريح . عندك بطولة غدا تحتاج منك صفاء ذهن وقوة تركيز. ثم أن الأمر لا يستحق. والله لا أدري كيف أستطيع أن أشكرك على ما فعلت لنا وما تفعله. بارك الله فيك وسدد خطاك. "

– " لم أفعل شيئا يستحق كل هذا الشكر يا سيدي . بل فضلك أنت علي لا يقدر بثمن . لقد أيقظت قلبي من ثباته . ليرى حقائق ما كان يدركها إلا بإرشادك. ومهما قلت أو فعلت ما كافأتك أبدا. "

ربت الشيخ عمار على كتفه بانبهار ودعا له دعوات ثم انصرف. وهاني يوصله حتى استقل سيارة أجرة. وعاد إلى شقته. اطمأن على الفتى. وتأمله لحظات بحيرة كبيرة ويتساءل في نفسه:

– " ترى ما هي قصتك أيها الفتى؟ هل أنت إنسان مثلنا يقوم بخدعة ما ؟ أم كائن من كوكب آخر؟ كلا بالتأكيد ليس كائنا من كوكب آخر . هذا هراء. لا أعتقد في وجود كائنات عاقلة في كواكب أخرى. ماذا أنت إذن ؟ إذن ففي الأمر خدعة . بالتأكيد خدعة. ولكن ما هدفها ؟ أهو إنقاذ هدير ؟ أم في الأمر أشياء أ....."

قطع تساؤلاته صوت ارتطام شيء ما في حجرة رحمة. فأسرع إليها قلقا وطرق الباب برفق قائلا:

– " سيده رحمه، هل أنت بخير ؟ "

أجابته بصوتها الحزين الواهن:

– " الحمد لله. يمكنك الدخول يا أستاذ هاني. "

دخل هاني الحجرة فرأى المقعد ملقى على الأرض ورحمة جالسة على طرف الفراش وفي عينيها ألم شديد . فأسرع يقيم المقعد ويقول بفزع:

– لماذا نهضت يا سيدتي ؟ لقد قال الطبيب لا يجب أن تتحركِ لمدة يومين أو ثلاثة على الأقل."

رفعت رأسها تنظر إليه وهي تهمس بصوت ملأه الألم و الوهن وللحزن فيه نصيب الأسد:

– " أشعر باختناق. أريد أن أستنشق بعض الهواء."

قال هاني بدهشة:

– " ولكن الجو بارد للغاية و أنت مصابة بشدة. "

التقت عيناهما من جديد فسرى من عينيها سحرا تسلل من عينيه ليقيد إرادته. ويصرع اختياره . عيونها جنتان طاف فيهما مسحورا. كلما حاول الهرب منها وجد أهدابها السوداء عالية شاهقة تأبى أن تسمح له بالفرار. ولكنه انتصر. إرادته التي لم تستسلم لسحرها مزقت قيودها. وانتزع كيانه كله من عيونها. وقلبه يصرخ بأعلى نبض له :

– " لماذا تهرب ؟"

لقد ظل خمس سنوات في قصة حبه مع أماني، ولم يشعر مرة واحدة بهذا الشعور. لم ينبض قلبه بهذه القوة. حتى خشي أن تسمعه رحمة . ولكنها كانت في مثل حاله. ولم تنتصر على مشاعرها. فارتبكت حين انتزع عينيه من عينيها. وحاولت النهوض . فصرخت كل جراحها بألم. فانطلقت آهة ألم عميقة من صدرها. بسبب ارتباكها نسيت جراحها، فكادت تسقط لولا التقط هاني راحتها وأعانها على القيام.

شعر بكهرباء لطيفة ودفء جميل يسري في يده. فتصدت إرادته لهما . فمنعتهما من التسلل إلى قلبه الذي ظل نبضه عاليا رغما عنه.

قادها إلى الشرفة وهو يقول بصوت مرتبك يهتز بنبضات قلبه:

" كما تشائين يا سيدتي . ولكن رجاءً ، ليس لوقت طويل."

أومأت برأسها إيجابًا دون أن تنبس ببنت شفة. سارت معتمدة على يده بألم صارخ ،وبطأ حتى فتح هاني الشرفة بيده الأخرى وخطت حتى جلست بحذر وألم على مقعد وجلس هاني على مقعد مقابل. ورياح محملة ببرد جليدي يلفح وجهيهما ويخترق ملابسيهما ويضرب جسديهما بقسوة.

وعلى الرغم من قسوة البرد كانت رحمة تشعر بانتعاش. وكأن تلك الرياح الصارخة المثلجة نسيم منعش بعد حرارة لافحة. أغمضت عينيه وآلام جراحة تهدأ رويدا رويدا.

قطع هاني حوار الرياح مع الأشجار قائلا:

- " هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالا يا سيدتي؟ "

قالت دون أن تفتح عينيها أو تتحرك، خشية أن تثور آلامها من جديد وقد بأت تهدآ:

- " سل ما بدى لك يا أستاذ هاني. "

صمت لحظات قبل أن يقول بتردد:

- " هل أسعدك مقتل زوجك ؟ أم أحزنك ؟ "

أخذت شهيقا عميقا ، وابتسمت ابتسامة خفيفة أخفاها نقابها وإن بدت في عينيها . ولم يرها حيث كان هاربا من عينيها في ظلام الليل. ثم قالت بصوتها الواهن الحزين:

- " لم يسعدني بالتأكيد. فمهما كنت أبغضه، لم أتمن له الموت أبدا . كنت أتمنى أن يزول من حياتي. ولكن ليس هكذا. ثم أنه أبو ابنتي. وموته يحزنها. وحياته مهمة لها. وخاصة في عمرها هذا. فحزنت لأجلها. ولكن ..... عبء كبير انزاح عني . قيد كبلني لسنوات ، كبل قدماي ويداي في عنقي. وظل يضيق ويضيق ويخنقني حتى أظلمت الدنيا أمام عيني. وانخنقت الأنفاس في صدري. وفجأة تهشمت قيودي وتحرك الهواء في صدري وأشرقت الشمس في حياتي من جديد. هل تفهمني ؟ "

أومأ برأسه إيجابا قائلا دون أن ينظر إليها وقد بدأ يشعر بالبرد يجمد أطرافه:

– " طبعا أفهمك. و لكني كنت أتوقع أن هذا الخبر سيسعد قلبك. فرأيتك تبكين بحزن فاندهشت."

ساد الصمت لفترة ليست بالقصيرة إلا من أصوات الرياح والسيارات المارة تشق مياه المطر التي تغرق الشوارع. قطعته رحمة هامسة:

" لقد عشت حياة غريبة منذ مولدي. لقد رزقني الله جمالا خارقًا للعادة . جعل والدتي رحمها الله تخشى علي بدايةً من الحسد. تحول خوفها لمرض اشتدت خطورته مع مرور الأيام. فازدادت خنقي وسجني ، ولولا رعاية والدي وتوجيهه وحسن تعليمه وتربيته، الله وحده عز وجل يعلم ما يمكن أن أكون عليه. وعلى الرغم من كل محاولاته تسليتي وشغلي عن العالم الخارجي إلا أنه يستحيل أن يعوضني عن الكثير . ولم تحتمل أمي المرحلة الابتدائية كانت لها فترة من الصراع والشجار الدائم مع أبي بسببي. وما أن أتممتها. حتى نقبتني ومنعتني من المدرسة. بل وكانت تمنعني حتى من الاختلاط بأقاربنا الذين يأتون لزيارتنا في المنزل.

استمع إليها هاني باهتمام رغم البرد الذي جمد خلاياه. ورغم الإرهاق الشديد الذي يمزق كل خلية في جسده. ولم يقاطعها . يعلم أنها تنفث أحزانها ومكنونات قلبها . وهذه خطوة جيدة لنشر السكينة في خلجات كيانها.

وراحت تقص عليه قصتها وتفاصيل حياتها وهو ينصت ويعلق أحيانًا. ويوافق بإيماءة تعاطفًا. حتى دق جرس الهاتف. فأسرع ليرد ويشعر بالدفء داخل الشقة .

كانت المكالمة من الشيخ عمار. يبلغ ابنته رحمة أنه عاد وهدير إلى شقته. فسأله هاني عن شهاب، فأجابه:

- " إنه معي الآن . وأراد أن يطمئن على الشاب قبل أن يرحل."
- " هل يمكنني أن أحادثه بعد إذنك يا سيدي ؟"

وما أن سمع صوت شهاب حتى قال بلهجة مرحة :

- " كيف حالك يا ذا الذراع الواحدة . ألم تقبض عليك الشرطة؟"

قال شهاب مندهشا:

- " ولماذا يقبضوا علي؟"
- " شكلك يدعو للشك أصلا. شكلك رد سجون."

ابتسم شهاب رغم ما يشعر به من إحباط وإرهاق:

- " والله أنا مندهش من صبري عليك. لا أدري كيف أتقبل منك كلامك هذا . لم يخاطبني أحد هكذا من قبل . وإن جرأ مرة فليس لها ثانية. "

ضحك هاني بصوت مسموع قائلا :

- " هذا ببساطة لأن سحري لا يقاوم. المهم إلى ماذا انتهى التحقيق ؟ "

- " أدلت هدير باسم ذلك الذي قتل أبيها وعرفت الشرطة صديقيه . ويظنون أنهم فعلوا فعلتهم ثم هربوا تاركين سيوفهم في الفيلا المهجورة. طبعا تحيرهم بعض المسائل. الصرخات العالية التي انبعثت منهم . تركهم لأسلحتهم وملابسهم كاملة ومهترئة و هربهم السريع. ولكن لا إجابات. المهم ما حال الفتى ؟ "
- " إنه ضعيف جدا . لم يستيقظ إلا دقائق معدودات منذ خرجنا . كل ما عدا ذلك طبيعي تمامًا. أخبرني أين أنت ذاهب الآن ؟ هل ستعود إلى الفيلا ؟ أم إلى بيتك ؟"

ارتبك شهاب وترددت الكلمات على لسانه وهو يقول :

- " حقيقة لا أدري . كنت أستأجر حجرة فأنا لست من القاهرة، وتركتها لكي أعمل وأقيم عند السيد رشدي رحمه الله . أعتقد أن الوظيفة طارت ومعها السكن، فلا أدري ماذا أفعل ؟"

قال هاني دون تردد وبحسم ومرح:

- " تعال عندي حل لمشكلتك . يبدو أنني سأحيل شقتي إلى فندق ."

ابتسم شهاب قائلا بإعجاب :

- " لا عليك يا أشقر . يمكنني أن ..... "

قاطعه هاني حاسمًا :

- " يا ذا الذراع الواحدة أنا لا أعرض عليك أنا آمرك . هيا نفذ . هل تذكر العنوان ؟ ليس بعيدًا من عندك . هيا سأقابلك في الشارع . السلام عليكم ."

قالها وأغلق الخط حتى لا يعطيه فرصة للاعتراض.

٨- الضربة الثالثة

على الرغم من أنه تمكن من أخذ قسط من النوم. ولكنه لم يتجاوز الساعة. فشعر بأنه أرهق جسده أكثر. فصار يبذل مجهودا خرافيا ليتفادى طعنة أو ينقض بواحدة. وكل خصم يواجهه يشعر بذلك فيشتعل حماسه. وينقض على هاني بكل ما أوتي من مهارات . وكم من جولة كاد يخسر بسبب إرهاقه وأيضا شروده. ذلك الإحساس الذي اجتاح مشاعره ليلة أمس عندما اقترب منها. عندما التقت عيونهما . عندما تلامست أناملهما قلب مشاعره رأسا على عقب. فأحالها واد للهذيان. لا يدري ما كنه مشاعره. هل هذا حب وليد. أم انجذاب فقط. وكيف لم ينبض قلبه هكذا لأماني. كان يسمع دائما المحبين يتغنون بنبض القلوب . ولم يجربه إلا الأمس فقط. ترى هل كان حب السنين مجرد وهم؟ أم أن كل المحبين على وهم نبضات الحب؟ بالتأكيد هذا هو الصحيح. فالحب عنده أسمى من نظرات أو نبضات. الحب عنده امتزاج روحين . فيحلقان بجناحين فوق جنان من السعادة. امتزاج يسلبك الإحساس بالواقع. الأمر كله إذًا إرهاق. نبضات قلبه الصارخة ماهي إلا بسبب إرهاقه وقلة نومه اللذان أثرا على أعصابه. وسلب إرادته أمام عينيها ما هو إلا تأثرا بسحرهما الذي لا يقاوم فجمالهما يفوق كل وصف. أما الحب فلا وألف لا. بعدا وسحقا له.

- أخيرا أعلنت لجنة التحكيم فوزه في آخر جولات اليوم. خلع قناعه بإرهاق شديد والعرق يسيل على وجهه، يجاهد جفناه ليبقيهما مفتوحين. اقترب من أصحابه يجر قدميه جرا. استقبله ياسر بابتسامة عريضة مهنئا:
- " أحسنت يا بطل . "

فقال عادل متهكما:

- " بطل ؟! أي بطل هذا ؟ هل تسمي انتصاراته هذه انتصارات. يا خيبة أملي. "

قال علي بضيق حاول إخفاؤه:

- " المهم أنه فاز يا كابتن. صحيح كاد يوقف قلوبنا أكثر من مرة. ولكن.... "

ربت ياسر على ظهر هاني قائلا بإشفاق:

- " ألا ترون حاله. يبدو أنه يمر بظروف صعبة . ... "

قاطعه عادل بحده غاضبه:

- " نعم . إنه يمر بنوبة من الاستهتار. الأستاذ لم ينم منذ يومين."

قالها واستدار إلى هاني صائحا في غضب :

- " لقد كنت مخطئا عندما طلبت منك ألا تنسحب من البطولة. الآن أطلبها منك انسحب أشرف لك . غدا النهائيات . وبحالك هذا . لن تصمد في جولة واحدة. "

تطلع إليه هاني بملامح جامده غلب عليها النعاس ولم ينطق بحرف. كأنه لم يسمعه أصلا. فتولى عادل وهو يستشيط غضبا. ولم يعره هاني اهتماما، الصداع يهوي بمطرقته على رأسه بكل قوته يبغي تحطيمها. بدا كل شيء أمامه مشوشا وكأنه في حلم. غير ملابسه ومعه رفيقه ياسر الذي لم يتوقف عن الكلام مع أن هاني لا يجيبه. وما أن وضع قدميه في السيارة حتى غاص في بئر النوم. صحبه ياسر إلى بيته وأيقظه. ترجل هاني من السيارة يتخبط في كل شيء لا يقوى على الوقوف.

وانتبه وتحفزت حواسه دفعة واحدة . إذ وجد محل والدته مغلق على خلاف العادة في هذا الوقت. وهذا لا ينبئ بخير . إن هذا لا يعني إلا وجود كارثة.

أسرع يتحامل على عضلاته ويسرع الخطى وياسر يسأله بدهشة وفزع وقد انتبه لتوتره وتحفزه والنشاط الذي دب في جسده فجأة:

- " ما الذي حدث يا هاني؟ لماذا توترت وأسرعت الخطى فجأة؟ "

قال هاني دون أن يلتفت إليه وهو يواصل الضغط على أطرافه للإسراع:

- " أمي أغلقت المحل. وآخر مرة أغلق في هذا التوقيت ، كان يوم وفاة والدي رحمه الله. "

قال ياسر كلاما لم يسمعه هاني لقد انشغل ذهنه وقلبه بذلك الحدث الذي دفع والدته تغلق المحل. هل حدث لرحمة مكروه. هل عاودتها نوبات الهيجان الذاهلة التي أصابتها في يومها الأول؟ أم ساءت حالتها؟ أم أصابها شيء آخر؟ أم هو الشاب الذي خرج من تحت الزهرة؟ إنه ضعيف إلى حد خطير . هل مات أم أصابه مرض ما؟ أم فاق من غفوته وصار وحشا؟ ما ان يجب أن يتركه في بيته وهو لا يعرف عن كنهه شيئا و لقد التهمت الزهرة الأخرى ثلاث شباب أقوياء.

دق جرس الباب وهو يدس فيه المفتاح بأنامل مرتجفة كقلبه. وعقله يرسم عشرات الصور التي يمكن أن يراها. رأى أمه تحدق فيه باكية بحرقة وصمت تعجز عن النطق. وأخته منار عن يمينها تربت على ظهرها تواسيها. وكذلك رحمة تفعل عن يسارها رغم جراحها. ساد الصمت لحظات عندما ولج من الباب. قطعه هو عندما فطن أن المصيبة خاصة بأخيه علاء قائلا بتوتر وفزع:

- " ماذا أصاب علاء يا أمي؟"

انهمرت أمه في بكاء حار . فأجابته منار من بين دموعها:

- " قبضت الشرطة عليه. "

استولت الدهشة على ملامحه وصوته وهو يهتف:

- " ماذا ؟!! لماذا ؟! ماذا فعل ؟! "

أجابته رحمة بصوتها الحزين الواهن:

- " وجدوا لديه كيس مليء بلفائف بانجو وحشيش وأقراص مخدرة."

عقد هاني حاجبيه في تفكير عميق. وظل صامتا واقفا مكانه للحظات. والثلاثة يتأملنه في صمت. ثم انقض الغضب على ملامحه، فصرع الدهشة والخوف والفزع واستولى على ملامحه بشكل واضح. جعل صوته قاسيا خشنا بصورة أدهشت أمه وأخته وهو يقول:

- " لقد ثقل حسابك كثيرا يا نادر باشا. "

استدار بغضب مندفعا فاصطدم بياسر الذي مازال واقفا أمام الباب. فانطلقا سويا إلى مركز الشرطة.

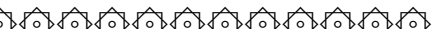

- " لم تتذكري أمك إلا الآن فقط. "

قالتها رحمة بحزن و مرارة. جعلا هدير تقول والدموع تنحدر عل وجنتيها:

- " لا والله يا أمي ما نسيتك أبدا. وكان قلبي يتفطر عليك في كل لحظة . ولكن أنت تعرفين أبي وكم كان ثائرا."

تهدج صوتها بالبكاء وهي تجفف دموعها وتقول:

- " واليوم لم أتمالك نفسي طوال اليوم بالإضافة للأمطار التي تتوقف طوال النهار وجنازة أبي . "

كانت هدير تتكلم باكية، ولكن جزءًا من عقلها كان في واد آخر. فرائحة زهرتها كانت تداعب أنفها ، تدغدغ مشاعرها. كيف وصلت إلى هنا؟! نبضات قلبها تتحرك تعلن أن زهراتها بالقرب منها.

ربتت رحمة على يد ابنتها الجالسة على المقعد المجاور لفراشها قائلة بحنان:

- " لا عليك يا بنيتي. المهم أنت كيف حالك ؟ و ما الذي حدث بالضبط ؟ "

ترددت هدير قليلا. هل تخبر والدتها بقصة الزهرة أم تخفيها كما فعلت مع الشرطة وجدها، ولم تلبس أن راحت تقص عليها كل شيء منذ رأت الزهرة أول مرة، وأشرف و شهاب ومصرع أبيها واختفاء الثلاثة في الفيلا المهجورة والفتى الذي خرج من تحت الزهرة. وحتى أحلامها. ورحمة تستمع إليها بذهول ولولا ثقتها بصدق ابنتها وسلامة عقلها. وأيضا إحضار هاني لشاب مريض معه بالأمس، ما صدقت. صمتت طويلا بعد فراغ هدير من قصتها. حتى قطعت هدير الصمت قائلة بتردد:

- " هل تصدقيني يا أمي ؟ "

أرخت رحمة جسدها في فراشها بألم وهي تهمس بشرود:

- " طبعا يا حبيبتي أصدقك. فأنا لم أجرب عليك كذبًا قط. كما أن هاني أحضر معه ليلة أمس شابا أخبرني أنه هو منقذك. "

تراقصت اللهفة في صوت هدير وهي تقول :

- " حقا يا أمي ؟ لهذا شممت رائحة الزهرة. ما شكله ؟ هل يشبه ابن جارنا الذي رأيته في حلمي؟ "

قالت رحمة بتفكير :

- " لا أدري يا بنيتي . أنا لم أره قط. لم أشعر حتى بوجوده منذ أتى. "

ارتفع صوت طرقات على الباب . فأسدلتا نقابيهما قبل أن تأذن رحمة للطارق بالدخول. فولجت منار الحجرة حاملة كوبين من الشاي الساخن. فسألتها رحمة بلهفة مختلطة بقلق وهي ترفع نقابها:

- " أما من أخبار عن هاني وعلاء؟ "

اندهشت هدير من لهفة أمها وقلقها على هاني. ولكن لهفتها لرؤية الشاب كانت أعظم من دهشتها. فتابعت كلام منار بنفاد صبر وهي تقول بأسى وقلق :

- " للأسف ما من جديد. و أمي لا تتوقف عن البكاء. "

قالت رحمة بحنان:

- " سيكون كل شيء بخير. سيعود هاني ومعه علاء بإذن الله."

قالت منار بتوسل :

- " يا رب ."
- قالتها وهمت بالانصراف، لولا ان استوقفتها هدير سائلة بخجل ولهفة:
- " لو سمحت يا أختي. "

توقفت منار وتطلعت إليها متسائلة. فأطرقت بخجل واحمر وجهها ولكن موجة لهفتها كانت أعلى من موجة خجلها فقالت بصوت خافت هامس حياءً:

- " الشاب الذي.. الذي جاء مع هاني .... ليلة أمس.. هل .. أقصد .... كيف حاله؟"

- " منذ أتى مع هاني لم يفعل شيئا سوى أن اغتسل وارتدى ملابس من ملابس هاني ثم نام في حجرته ولم يستيقظ حتى الآن.

أرادت أن تراه ولكن عجزت عن النطق. ألجمها حياؤها. فصمتت ونظرت إلى الأرض وقلبها يصرخ بأعلى نبضه : – " أريد أن أراه. " ولكن موجة حياؤها علت واكتسحت كل مشاعرها. فصمتت. ولما لم ترد على منار، استأذنت وانصرفت.

لاحظت رحمة مشاعر ابنتها، فانتابها قلق غريزي. هدير لا تزال صغيرة، ومن السهل أن تتوهم الحب. ومن السهل أن تدمر حياتها كلها. وتبيع كل نفيس فداء لذلك الوهم. فتخسر ماضيها ومستقبلها. أم أن قلقها نابع من الغموض الذي يغلف هذا الكائن الغريب . وفي كل الأحوال ليس من الصائب أن تناقش هذا الأمر معها الآن. فقالت في محاولة لإخراج ابنتها من حالة الحياء والارتباك التي تسيطر عليها:

- " أريدك أن تذهبي إلى مدرستك من الغد لن يفيدنا الجلوس في المنزل. "
- " يصعب علي أن أذهب للمدرسة من بيت جدي. "

صمتت قليلا ثم أردفت:

- " لماذا لا نرجع إلى بيتنا يا أمي؟ فأذهب إلى مدرستي. سنحضر سيارة و .."
- " لا.. لن أرجع إلى ذلك البيت أبدا. لقد أقسمت لئن أنجاني الله منه فلن أعود له أبدا ما حييت. "

قالتها بحسم فجر الدموع في عيون هدير فقالت باكية :

- " لماذا يا أمي ؟ لقد رحل أبي . وما عاد من سبب لبقائك هنا. لماذا لا .... "

قاطعتها رحمة مرة أخرى لكن بهدوء هذه المرة وإن لم يخل من نبرة الحزم :

- " حبيبتي اعذريني. لن أستطيع العودة إلى ذلك البيت الذي دفنت فيه أجمل سنوات عمري. لقد خرجت منه، فخرجت من ذلك الماضي. وأريد أن أمحوه من حياتي تمامًا. لا أريد أي شيءٍ قد يذكرني به. فرجاءً لا تطلبي مني ذلك ثانية. فأنا لا أريدك أن تحزني بسببي. ولا أريد أن أحزن بسببك. دعينا نبدأ حياة جديدة. "

كانت رحمة تتكلم وهي ترنو إلى لا شيء، هربا من عيون ابنتها حتى لا تتأثر بها. وهدير ترنو إليها بتوسل وعيون باكية. فهي تعرف أمها جيدا. ولم ترها بمثل هذه الصلابة من قبل. تمنت لو تنظر إليها حتى تر دموعها لعلها تتأثر، لعلها تعود لطبيعتها فترق لها. فطال الصمت دون أن تنظر إليها فقالت بصوت مزقه البكاء :

- " قد ترغبين في التخلص مني أنا أيضا حتى لا أذكرك بأبي. "

نظرت إليها رحمة بعتاب قائلة :

- " كيف تقولين هذا يا عمري ؟ وهل أهدر عمري غير حبي لك؟ والله ما احتملت أباكِ هذا العمر باذلة سعاتي وحياتي وكل ما يغلو علي إلا لسعادتك وأن تترعرعي في حضن أبيك وحضن أمك. ولكن آن الأوان أن أتنفس ودون أن أفقدك. ودون أن تغادري حضني. "

(٩) من يضحك أخيرا يضحك كثيرًا

أشرقت الشمس في موعدها الطبيعي على خلاف المعتاد في الأيام الأخيرة. فقد استولت السحب على السماء فما كانت الشمس تستطيع النظر إلى الأرض إلا غُبًا. تاركة البرد يصول ويجول في الأرض بغير حساب، ينهش الأطراف والعظام كوحش ينهش الجوع أحشائه، فينهش بدوره في خلق الله. ولكن اليوم الأمر يختلف، اتحدت الأرض مع الشمس والرياح لرحمة الخلق. فتساقطت السحب صريعة على الأرض. وهبت الشمس نشيطة تبث دفئها على كل الخليقة . فخرج كل من أدرك ذلك يملأ خلاياه وعظامه بدفء الشمس الجميل. والذي جاء بعد غياب.

وكان شهاب ممن خرج للهواء الطلق يستشعر الدفء ويمتع نفسه بزرقة السماء التي أخفتها السحب لأيام. كان الجو ممتعا جدا لدرجة أنه لم يشعر بالإرهاق مع أنه زاد فترة التدريب اليومية إلى وقت يتخطى ضعف المدة التي اعتادها . وإن اشتركت عوامل أخرى مع جمال الطقس في تخفيف إحساسه بالإرهاق. وجود أجهزة رياضية جيدة في حديقة الفيلا من الجهة الخلفية بالقرب من حظيرة الدواجن . والعامل الأهم ، التفكير.

لقد دار في ذهنه أفكار شتى. حياته في قريته الصغيرة وحظه العاثر في كل خطوة يخطوها . حتى عندما أتى للقاهرة ليلتحق بكلية العلوم. وكان يظن أن الحياة

ستبتسم له ويتغير حاله. تغير حاله ولم تبتسم له الدنيا. فصار في حال أسوأ. وعندما قابل رشدي رأى ابتسامة الدنيا تشرق له من بعيد . وكشف مقتله أنها سراب. وعاد أسوأ مما كان ، فلقد ترك عمله ومسكنه ، وفشل في العودة لكليهما. ولولا دعوة هاني له لما وجد مكان للمبيت.

وطلبت منه السيدة رحمة أن يواصل عمله لديها كحارس شخصي لها ولابنتها . وها هو يقوم بحراسة الفيلا ، حتى تقرر ما ستفعله بها . فهل ستشهد حياته تغيرا آخر للأسوأ؟ أم آن الأوان لمتاعبه أن تنتهي ؟

والسيدة رحمة نفسها مشكلة كبيرة لم ير منها إلا عيونها وأناملها والشكل العام لقوامها . وهذا القليل يدل على جمال يفوق العادة، جمال خارق بمعنى الكلمة. لا يتوافق مع سنوات عمرها. ما رآه يجعله يجزم أنها أخت هدير الصغرى ، لو لم يكن يعلم أنها أمها. ومن الواضح أنها ليست سيدة أعمال. كيف إذن ستدير عملها في مدينة المملكة وسط باقي الشركاء؟ وهل سيقبلون بها وسطهم أم سيحاولون تنحيتها والاستيلاء على نصيبها؟

ترجل عن الجهاز الذي كان يتمرن عليه. ودار حول الفيلا وهو يمسح عرقه بيديه. وتطلع إلى الحفرة الصغيرة التي كان يحتلها جسد الفتى العجيب الذي خرج من تحت الزهرة. وتذكر الكائن الآخر في الفيلا المهجورة المجاورة . فاقترب من السور ووثب يتشبث به بحذر بيده الواحدة ورفع جسده للأعلى واختلس النظر إلى الزهرة التي كان قرصها يواجه الناحية الأخرى، وإن كان يتحرك يمنة ويسرى وكأنه

يبحث عن فريسة جديدة. حركات حيوان وليس نبات. شعر شهاب بالخوف يتسلل إلى قلبه وهو يراقب ذلك الكائن العجيب. وتضاعف خوفه عندما توقف تاج الزهرة عن الحركة وسكن تماما وكأنه يرهف السمع . وارتفع صوت نبضات قلبه في رعب، انفجر كقنبلة عندما التفتت الزهرة بحدة نحوه. فدفع السور وكأنه يدفع الوحش عن نفسه. فسقط على ظهره بعنف وهو يلهث فزعًا محدقًا في موضع الزهرة منتظرًا أن تثب من فوق السور. نهض يتراجع برعب وعيناه لا تفارقان حافة السور. وقف بجوار الزهرة الممزقة . ثم انحنى التقط بعضها. وراح يفحصه بعينيه بدقه وقلبه لا يزال يرتجف.

ثم قال محدثا نفسه بذهول :

- يا إلهي. ليست هذه بشرة نبات. بل بشرة حيوانيه شديدة الشبه بالبشرة النباتية.

عاد يقلبها بين أنامله ، ثم نقل بصره إلى الحفرة الصغيرة وقد امتلأت بمياه المطر، ثم نقله تارة أخرى إلى السور حيث يتوارى الكائن الآخر وهو يردف ذاهلا :

- من أين أنت بالضبط أيها الكائن الغريب؟ وما قصتك الماضية؟ وما قصتك القادمة ؟

جمع قطع من الأوراق الممزقة، و اتجه إلى داخل الفيلا. ولم يشغله جمال الأثاث هذه المرة. واللوحات الفنية على الجدران، لقد شغلته بما يكفي ليلة أمس. اغتسل وفكرة واحدة تملأ عقله. لابد أن يعرف كل شيء من الفتى الذي خرج من الزهرة.

وخوف من أن يتحول الشاب إلى وحش، إن لم يكن أصلا وحشًا. كيف لم يخطر له ذلك ببال قبل. قد تكون عائلة هاني في خطر .

ارتدى بدلة جديدة من تلك التي اشتراها له رشدي قبل موته. ثم انطلق إلى بيت هاني.

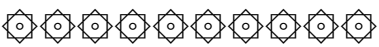

خطى هاني أولى خطواته داخل قاعة المبارزات المغلقة وياسر إلى جواره. واندهش من قلبه الذي بدأ ينبض بقوة وحرارة ، ترى هل يخاف من المواجهة . هذا هو آخر أيام البطولة. المبارزين المنافسين هم الأعلى مستوى في مصر. وجميعهم في أعلى درجات الحماس . وخاصة خصمه اللدود نادر. كلا هو لم يخف يوما من مبارزة ، ودائما ينتصر و .... هذا النبض له مذاق خاص. له إيقاع وحرارة نبضه عندما كان مع رحمة آخر مرة. لماذا الآن ؟ أكيد إذن هو التوتر. ليس للأمر علاقة برحمة ولا بغيرها. هذا يؤكد وجهة نظره.

- هاني .

صمت قلبه وصمتت أنفاسه و أفكاره. صوتها .لا يمكن أن تخطئه أذناه. تلك الرقة التي تذوب بين الحروف لها رائحة يشمها قلبه. هل أصابه الهذيان ؟ هل هذا صوتها حقا ؟ أم يحلم؟ التفت ببطء والتقت عيناهما وذاب كل ما حوله . طارت به عيناها في لمح البصر إلى جنة حدودها رموشها. قال هامسا :

- رحمة ؟

أجابته برقتها العجيبة التي تذيب القلوب القاسية:

- أين كنت ليلة أمس ؟

قال وهو يحاول انتزاع عينيه من عينيها. يحاول إخفاء شوق فاض في كلماته:

- ألح علي ياسر أن أبيت عنده لأكون في كامل نشاطي اليوم ، ولم أستطع الاعتراض. لأنه هو الذي أخرج علاء. والده لواء شرطة تدخل و ...

دنت منه خطوة بلا وعي وهي تهمس بصوت لم يسمعه غيره:

- لم يغمض لي جفن طوال الليل ..... كنت أنتظرك.

انساب الرد من خلايا عقله إلى لسانه:

- وأنا أحلم بك طوال الليل .

ولكنه عقد لسانه ومنعه من اللفظ بهذه العبارة وضوء ما يومض في عقله وكأنه إنزار خطأ :

- احترس . كلمة واحدة وتقع . تراجع وإلا ستشرب من نفس الكأس للمرة الثانية.

نجح في إمساك لسانه ولم ينجح في تحرير عينيه فقالت هي بنفس الصوت الهامس:

- لا تفعل هذا ثانية.

نجح في إفلات عينيه وهو يتساءل في نفسه:

ما الذي تفعله هذه السيدة بالضبط ؟ هل أحبته ؟ أم هذا امتداد حالتها النفسية؟ أم أن تلك المشاعر مجرد تنفيس عن كبت السنين ؟ والأهم ، هل هو يحبها؟ كلا. هذا لا ولن يكون.

نظر لأخته منار وقال بغضب ولكن بصوت هادئ:

- وكيف تغادرين فراشك وأنت مريضة وجراحك لم تندمل بعد ؟ كيف تسمحين لها يا منار؟

قالت برقة وعاطفة تذيب الصخر :

- لأراك وأطمئن عليك.

- لم يستطع أن يجيب هل يخبرها أنها لم تفارق خياله لحظة. وأن الشوق كاد يقتله ليذهب إليها. كان فعلا يتمنى رؤيتها قبل أن يأتي للبطولة ولكن ياسر منعه. اكتفى بنبض قلبه وسكت.

- لقد شرف الأستاذ مبكرا اليوم.

انتفضت رحمة في فزع وكأنها تستيقظ من حلم جميل والتفت هاني إلى عادل الذي يرمقه بغضب وقال بهدوء :

- أنا دائما آتي في موعدي يا كابتن .

رد عليه عادل متهكما:

- ما عدا الأيام القليلة الماضية فقط.

- كان عندي ظروف.

مر عادل من جواره دون أن يتوقف أو يحاول مصافحته قائلا:

- وهل سمحت لك ظروفك بالنوم الليلة الماضية أم كالعادة ؟ إن لم تكن على استعداد للجولات الأخيرة انسحب بكرامتك فـ .....

قاطعه ياسر لما رأى الغضب يتحرك في عيني هاني :

- هاني سيفوز بالبطولة يا كابتن إن شاء الله . اطمئن.

تجاوزهم عادل ولم يلتفت إليهم كأنه لم يسمع كلمات ياسر.

ولم يهتم هاني ، وتطلع إلى رحمة قائلا بإشفاق :

- تفضلي معي يا سيدتي. لابد أنك متعبة جدا .

شعرت بالسعادة لقلقه عليها وتبعته معتمدة على يد منار. وإن كانت تتمنى أن تسير إلى جواره هو، متأبطة ذراعه. وما أن ارتسمت الصورة في خيالها حتى تنبهت فجأة لما يحدث. فشهقت في فزع شهقة خفيفة لم ينتبه إليها أحد . واحمر وجهها الوردي حتى صار كتفاحتين حمراوين . ولكن نقابها أخفى تضرج وجهها بالحمرة. وسألت نفسها ذاهلة : (ماذا تفعلين يا رحمة ؟ هل فقدت صوابك ؟ ما رد فعلك لو فعلت ابنتك هذا؟ تعيشين فترة مراهقة متأخرة ؟ تسعين خلف فتى من عمر ابنتك؟)

أتاها صوت من داخلها يجيب : (وماذا في ذلك ؟ ليس هذا عيبا ولا حراما. العمر ليس قيدا في الزواج. ما دام الحب يربط بين القلبين)

عادت تخاطب نفسها ودمعة تفر من عينها فيتلقاها نقابها : (أي حب هذا. كيف تتخيلين أن ينظر إليك شاب مثل هاني. إنه يبدو كما لو كان يراكِ رجلا ، إنه الرجل الوحيد الذي لم يلتفت إليكِ فضلا أن ينظر إليكِ بإعجاب . رآكِ عارية تقريبا ولم تهتز فيه شعرة لم تر في عينيه إلا الشفقة. وما رآكِ أحد بكامل ثيابكِ إلا وينهش لحمكِ نهشا بعينيه. رأى وجهكِ في بيته ولم يتأثر بجمالكِ الذي ما أخفيته في بادئ

الأمر إلا خوفا من العيون المفترسة. اقترب منكِ كما لم يقترب غير زوجك ويتكلم كما لو كنت زميل دراسة أو عمل. لا ترين في عينيه إلا الصلابة والشفقة. وحتى إن فكر فيكِ كيف يوافق أن يرتبط بمن في عمر أمه أو تقترب. وإن وافق ، فهل ستوافق والدته. إنها تبدو قوية صلبة رغم طيبتها وحنانها. و يبدو أيضا أنها تخاف منكِ.

عاد الصوت يرد عليها بثبات وثقة : (الحب لو نبت تحت مظلة الصدق، وارتوى من نبع طاعة الرحمان، لفرد جناحيه وخفق بهما، وارتفع وعلا فوق كل تلك الحواجز وأعلى منها. ثم لهبط في واحة الأمان، يقطف من ثمارها كيف يشاء . وقوة هاني وصلابته وعفته لأدعى للتمسك به. بل والقتال من أجله. لا الهرب.)

زاد فيض دموعها وهي تجلس في مقدمة الصفوف حيث أشار لهما هاني. وصراع شديد يشتعل في صدرها بين عفتها و وقارها. وعزة نفسها هي التي قضت حياتها تفر من الرجال تسعى الآن مسلوبة الإرادة خلف شاب يصغرها، ولا يوليها أدنى اهتمام. وبين حب وليد راح يروي ظمأ السنين. ويسعى جاهدا ليتنفس شيئا من السرور. انتزعها من أعماقها يدٌ حانيةٌ تربت على كتفها وتضمها بحنان. فارتجفت فزعة والتفتت فإذا هي منار تقول في حنان وشفقة:

- يا إلهي! . ما الذي يبكيك هكذا ؟ إن نقابك يتقطر دموعا.

نظرت إليها بعينين مغرقتان بالدموع ولم تدر ما تقول . ولم تقو حتى على الكلام فوضعت رأسها على كتف منار. وراحت تبكي بحرارة وألم. فكل جراحها راحت

تئن فجأة وكأنها تشاركها الألم. ضمتها إليها منار بحنان وهي تربت على ظهرها برفق لئلا تؤلمها. وسألتها بإشفاق :

- هل تذكرت زوجك ؟

لم تجبها رحمة إلا بالبكاء . فصمتت منار حتى هدأت قليلا وقالت:

- لا أحب أن أكون متطفلة ولكن إذا أخرجت ما في جوفك ارتحت. حاولي أن تحكي حتى ولو برموز حتى لا أفهم.

قاطعتها رحمة بصوت باك هامس يملأه الألم:

- هل يمكنني أن أعتبرك صديقة ؟ لم يكن لي صديقة قط . قضيت نصف عمري سجينة أمي التي كانت تخاف علي خوفا مرضيا . فسجنتني وحبستني عن الناس جميعا. حتى أقرب الناس إليها. حتى أجبرت والدي على القدوم للقاهرة والعيش فيها، بعدا عن كل من نعرف. ثم ماتت فخرجت للدنيا أستنشق عطرها. فوجدته دخانا خانقًا، يحرق العيون. فسجنت نفسي وقد أدركت أنها كانت على حق.

قالتها وصمتت وقد هدأت دموعها قليلا. فقالت منار :

- والله يا أختي أنا أحببتك منذ رأيتك. وفعلا تمنيت لو كنا صديقتين .

صمتتا لحظات قطعتها منار قائلة بتردد :

- أظن مشكلتك هي أخي هاني . أليس كذلك ؟

رفعت إليها رحمة عينيها الفاتنتين بحيرة ودهشة :

- ما الذي حملك على قول ذلك ؟

ابتسمت منار ابتسامة حانية وهي تقول :

- لا أحد يشك في ذلك. أنت أضعف من أن تخفي حبك له. وأقول حبا لا مجرد إعجاب . فحبك لهاني واضح كوضوح الشمس في وقت الظهيرة.

ارتبكت رحمة ولم تدر بما تجيب. لم تتوقع هذه الصراحة. ولم تتوقع أن يكون الأمر واضحًا لهذه الدرجة. فأردفت منار :

- ولكن المدهش أنك أحببته كل هذا الحب في هذه المدة القصيرة. أنت معنا منذ ثلاثة أيام فقط . ولم تر هاني فيها إلا قليلا.

صار وجه رحمة كما لو أن الدم يجري فوقه وليس بداخله فقالت بصعوبة وصوت مختنق :

- لا أدري ما أقول. ولا أدري هل ما أشعر به نحو هاني حبًا أم مجرد إعجاب ؟ أم هو حالة نفسية نشأت من المأساة التي عشتها مع زوجي؟ ولكن كل ما أعرفه أني لا أطيق بعدا عنه أريده بالقرب مني دوما. عندما يكون بعيدا أشعر باضطراب وخوف، وكأن وحوش الدنيا تتربص بي. وعندما يشرق في سمائي، يسري الدفء في أوصالي. وتسري السكينة في عروقي. ويظلني الأمان . وترى عيناي كل شيء جميلًا. وأشعر وكأني في عالم آخر ، لا أشعر، ولا أرى سواه. ولا أجد في خيالي إلاه.

كانت منار تحدق فيها بانبهار. فقالت بدهشة :

- إلى هذه الدرجة.

نظرت رحمة في عينيها قائلة بأسى:

- ولكن ذلك خطأ كبير.
- ليس الحب خطأ.

تهدج صوت رحمة بالبكاء وهي تقول:

- في حقي أنا خطأ. لقد تسرب حب هاني لقلبي وأنا متزوجة وهذا خطأ . وتعمق و المفترض أني في حداد على زوجي. وشهور عدتي في أولى أيامها. والأهم من هذا كله عمري وعمر من أحببت. وهذا أكبر خطأ.

ربتت منار على ركبتها قائلة بحنان وكأن الأدوار معكوسه :

- أولا يا حبيبتي، كون الحب وقع في قلبك ليس هذا خطؤك. فالحب الصادق ليس له أي قيود ولا حدود . فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء. فوقوع الحب نفسه ليس بخطأ. إنه رزق وابتلاء، مثل المال والصحة والأولاد والوظيفة، مثل العقل والذكاء. وقد تكون مكافأة . الأخطاء تأتي بعد ذلك. فلا تلومي نفسك على الوقوع في الحب. المهم ألا تقعي في معصية بسبب الحب. تماما كالمال والأولاد وغيرها. أما موضوع السن، فليس بقيد ولا عيب. لقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة وعمرها يفوق عمره بعشرين عاما. وتزوج السيدة عائشة وهو يكبرها بأكثر من ضعف ذلك. فالسن ليس قيدا أبدا.

كانت رحمة تتطلع إليها بدهشة . فرغم حداثة سنها إلا أنها تتكلم بحكمة وتدين. مما يدل على أن أسرتها أسرة متدينة . وهذا يدل على أن عدم اهتمام هاني بها قد يكون

تدينا، وليس غلظة. أو أنه لم يفكر فيها. استراح قلبها نوعا لهذا الخاطر فهو يعطيها الأمل.

لاحظت منار دهشتها فقالت :

- مما أنت مندهشة؟
- كلامك يدل على تدين.
- ابتسمت ابتسامة خفيفة. أشرق لها وجهها البريء:
- أنا أخت هاني . ماذا تتوقعين؟ المهم يا حبيبتي لا تلومي نفسك. ولا تعذبيها. دعيها تسير في صحبة تقوى الله. وكل مشاكلك محلولة بإذنه تعالى. ثم إني أشعر أن هاني يميل إليك أيضا.

ارتجفت رحمة وانتفضت بفرحة. فهذه الكلمة بددت كل صراعاتها النفسية.

فسألتها بلهفة:

- حقا ؟
- اهدئي يا مجنونة. لقد انتبه إلينا الجميع.

تخضب وجه رحمة خجلا وهي تخفض بصرها في حياء. فاتسعت ابتسامة منار وهي تقول:

- أنت رائعة يا رحمة. لم أر في حياتي امرأة مثلك ، ولم أتخيل حتى إمكانية وجودها . جمال ورقة يفوقا كل وصف. أدب وحياء ندر وجودهما . ودين وخلق يستحقا كل

إعجاب وتقدير. ما قيمة فارق السن أمام كل هذا. أنا أشعر أنني أكبر منك سنا. أو على الأقل قرينتان. لو كان الأمر بيدي لخطبتك لهاني فورا.

- وهل توافقك أمك الرأي ؟

حركت كتفيها تعبيرا عن عدم معرفتها وهي تجيبها :

- لا أدري لم نتكلم في شيء مثل هذا أبدا .

ربتت على ركبتها مرة أخرى قائلة:

- اطمئني كل شيء سيكون على ما يرام. المهم نتابع هاني . إن مباراته الأولى تبدأ.

نقلت بصرها إلى الملعب الطويل. وهاني يستعد على أحد طرفيه وياسر يساعده في تثبيت السلك الكهربي في مؤخرة الزي الرياضي . وعلى وجهه ابتسامة مرحة، زادته بهاء ووسامة وهو يمازح ياسر بكلمات لم تصل لمسامعها .

بدأت المباراة . وشاهدتها رحمة بكل حواسها حتى أنها لم تكن تشعر بآلامها ولا حتى بالناس حولها . وكان قلبها ينتفض برعب إذا رأت الخصم يوجه طعنة إلى هاني. فكم من مرة شهقت بفزع. أو هللت بفرح طفولي.

أما عادل فتابع هاني باهتمام شديد. فعلى الرغم من أن المبارزة تبدو طبيعية وتكاد تكون متكافئة إلا بفارق طفيف لهاني. إلا أنه يعرف هاني جيدا . إنه اليوم يقظ نشيط. وعندما يستطيع خصمه الفوز بطعنة. يفوز بها بإرادة هاني ، وليس رغما عنه. وفاز هاني. وتوجه إلى عادل مبتسما.

****

لم يذق جفناها طعم النوم طوال الليل. وبكت بندم . كيف كانت بجواره. يفصلها عنه خطوات ولم تحاول أن تراه. ولماذا تهتم برؤيته؟ فضول أم شوق لرؤية شخص ارتبطت به كزهرة ثم تحولت إلى رجل. لا تدري سوى شيئا واحدا ، رغبة عارمة تقاتل في صدرها لتدفعها دفعا لبيت هاني لتراه. ذلك الفتى الذي خرج من الزهرة. انتفضت لسماع طرقات هادئة على باب حجرتها. وأتاها صوت جدها من خلف الباب:

- هدير . هلا استيقظت لتناول الإفطار مع جدك الوحيد.

قالت وهي تنهض من فراشها:

- أنا مستيقظة يا جدي . سآتي حالا.

وما أن رأى وجهها حتى قال بشفقة حنونة:

- أنت لم تنامي مطلقا . يا لك من مسكينة .

كان يظن حزنها على أبيها هو الذي طرد النوم بعيدا عن عيونها. فملأ ذلك قلبها بالحزي. فتفكيرها في فتى الزهرة هو الذي أطار النوم من عينيها . فأطرقت ونظرت إلى الأرض حياءً من نفسها. فعمَّق هذا فهمه لحزنها . فربت على ظهرها وقال مواسيا:

- أنت أقوى من هذا يا هدير . لا تستسلمي للحزن يا بنيتي.

آلمتها كلماته أكثر ، واعتصرت قلبها كيف تفكر في هذا الشاب لدرجة أن تنسى أمها في محنتها. وتنسى أبيها وقد قُتِلَ ولم يجف دمه بعد.

وجدت حزنها يتفجر فجأة. فدفنت وجهها في صدر جدها وراحت تبكي وكأنها تذكرت فجأة.

أجلسها إلى المائدة وشرع يهدئها . يواسيها ويداعبها. حتى هدأت.

تناولت معه طعام الإفطار وعقلها يتأرجح بين التفكير في أبيها وفي فتى الزهرة.

وخطرت لها فكرة لماذا لا تسأل جدها عن أصحاب الفيلا المهجورة المجاورة لفيلتها. اندهش من سؤالها فقال مندهشا:

- ولماذا تسألين عنهم . ما الذي لفت انتباهك لهذا المكان؟

صمتت قليلا تفكر فيما تقول ثم قالت :

- لقد حلمت بأني أقف في هذا البيت المهجور. فخطر لي الآن .

قال وهو يجمع الأطباق الفارغة وبقايا طعامهما:

- لا أعرف الكثير. ولا أحد يعرف أكثر مما أعرف.

ساعدته في حمل الأطباق وسارت معه إلى المطبخ وهي تقول بدهشة :

- لماذا ؟

أجابها وهو يفتح الصنبور ليغسل الأطباق:

- عندما تزوجت أمك ، كان صاحب الفيلا في أمريكا هو وزوجته ، ويقال أنه كان عالما في الهندسة الوراثية .

قالت وهي تلتقط منه الأطباق وتحتل مكانه أمام الصنبور برفق:

- دع لي الأطباق واصنع لنا الشاي.

وافق على الفور واتجه إلى الموقد وهو يستطرد :

- و عاد بعد مولدك مباشرة وبعد وفاة زوجته ، وكان له ولدان غريبا الأطوار.

التفتت إليه وأحد الأطباق في يديها تغسله:

- ماذا تقصد بغريبي الأطوار؟

وضع براد الشاي على النار وهو يقول :

- كل ما أعرفه مجرد إشاعات. أكثرها إن لم تكن كلها خرافات.

قالت بحماس ولهجة تناقص فيها الحزن إلى درجة أسعدته كثيرا وجعلته يتحمس بدوره:

- خرافات ! خرافات مثل ماذا ؟!

أجابها وقد تحمس لتقليل حزنها:

- قيل أنهم يطيرون. وقيل أنهم لا يموتون، وقيل لديهم قدرات عقلية خارقة ، يتحكمون في الآلات والأجهزة.

- هذا مستحيل طبعا.

- هذا واقعي في قصص الأطفال فقط.

قالت وهي تجفف يديها بالمنشفة:

- وأين ذهبوا ؟ وما الذي حل بمنزلهم ؟ إنه يبدو كما لو أن حريقا ضخما التهمه.

- صب كوبي الشاي. وهي تنظر إليه بشغف وقال بعد برهة من الصمت:

- هذا ما حدث فعلا . لقد نشب في البيت حريق هائل مع أذان الفجر ولم يستطع أحد إيقافه حتى التهم البيت كله.

سارت خلفه وهو يحمل كوبي الشاي سائلة بلهفة أدهشته كثيرا:

- وهل نجى أحد منهم؟
- صمت حتى جلس إلى المائدة وتأمل ملامحها قليلا ، لم تأخذ شيئا من ملامح أمها مطلقا . نفس ملامح أبيها وأخذت من أمها لون البشرة فقط . هذا جعلها جميلة . ولكن لا يساوي جمالها هذا قطرة من بحر جمال أمها.
- لم ينج منهم أحد. لقد وجد الثلاثة جثث متفحمة . كان أحدهما يحاول الفرار من النار فعبر السور إلى بيتكم ولكنه مات أيضا. حاول أبوك إنقاذه ولكنه كان قد انتهى.

سألته باهتمام :

- هل تعرف المكان بالضبط ؟

زادت دهشته لاهتمامها بمعرفة المكان فأجابها بحيرة:

- لا أدري بالضبط . فلم أره ، ولكنهم كان يقولون بالقرب من حظيرة الدواجن .
- وما كان سبب الحريق ؟
- جرع جرعة من شايه وهو يقول:
- لا أحد يعرف بالتحديد. وهناك أقاويل كثيرة. الشرطة تقول : انفجار أسطوانة غاز. أما أقوال الناس فتعددت واختلفت. فقيل جهة ما أمريكية اغتالته، لأنه كان

عالما مرموقا هناك وله أبحاث لم يسبقه إليها أحد . جاء لمصر في عطلة ثم رفض العودة فاغتالوه . وقيل أن ابنه الأكبر كان آكل لحوم بشر . فانتقم شخص ما. فحرق عليهم البيت كله. وقيل أنها مشاجرة بين الولدين انتهت بهذا الحريق.

- وهذا الذي مات في حديقتنا هل دفن في الحديقة ؟

ابتسم مندهشا وهو يقول:

- يدفن في حديقتكم ؟! هل هذا معقول يا هدير ؟ طبعا لا . لقد دفن الرجل وولديه في المقابر كالمعتاد. ولكن اصدقيني...

تطلع إليها باهتمام وتفكير عميق وهي تنظر إليه بابتسامة خفيفة وحرج قائلة:

- ماذا يا جدي ؟
- ما سر هذا الاهتمام وفي هذه الظروف بالذات؟

صمتت لحظات تبحث عن كلمات تجيبه بها ثم قالت في حياء:

- لقد أخبرتك. إنه مجرد حلم .

قال بعد أن ارتشف رشفة من كوبه:

- اشربي شايك يا هدير لقد برد ولم تمسيه. ألم أقل لك . عندك سر وراء اهتمامك هذا.

احمر وجهها خجلا، ولم تدر ما تقول فخفضت بصرها ورفعت كوب الشاي ترتشف منه . لم يصر عليها وغير دفة الحوار قائلا:

- هل ستذهبين إلى المدرسة اليوم:

قالت دون أن ترفع بصرها إليه :

- كلا يا جدي . سأذهب ابتداء من بداية الأسبوع القادم إن شاء الله . كل ملابسي وكتبي في الفيلا ولا أريد أن أذهب وحدي .
- كيف حال والدتك .
- إنها تتحسن سريعا. ولكنها ترفض الرجوع للفيلا. هل يمكنك إقناعها يا جدي.

صمت لحظات ارتشف فيها آخر قطرات الشاي في كوبه. ثم قال :

- إن شاء الله، سأذهب اليوم لمقابلة المحامي لإنهاء إجراءات إعلان الوراثة . ثم أذهب إليها . لم يعد هناك داع لبقائها في بيت هاني . لقد انتهى السبب الذي ذهبت له هناك. كما أن حالتها تتحسن. ومغادرتها لا خيار لها فيه . لقد صار حتميا. إما هنا وإما الفيلا.

نهض واقفا وهو يسألها :

- ماذا ستفعلين أنت اليوم؟
- أجابته بعد أن ارتشفت رشفة من كوبها:
- سأذهب إلى أمي لأطمئن عليها، وسأنتظرك هناك.

○○○○○○

جلس شهاب على حافة الفراش بجوار الشاب . تأمل ملامحه مرة أخرى، غير مصدق أن هذا الشاب خرج من باطن الأرض ولم يولد ولادة طبيعية كباقي البشر. شعره ولحيته طوال بشكل يدل على أنهما لم يمسهما مقص منذ نبتا على هذا الجسد. مد يده ورفع الغطاء كاشفا يده والتقطها يفحص أنامله. أظافره تؤكد ما أوحى به

شعره ولحيته. وبها بقايا طين قليل. تفحص بشرته بعينيه بدقة . ناعمة بيضاء نضرة كما لو كانت لم تزرها الشمس مطلقا. تنبعث منها رائحة عطرة . هي نفس رائحة الزهرة ولكنها أهدأ كثيرا.

هزَّهُ شهاب من كتفه برفق قائلا:

- استيقظ أيها الشاب العجيب.

لم تبدر من الفتى أي استجابة. ولولا وضوح النفس يتردد في صدره لظنه شهاب ميتا. وإن ظن أنه لن يستيقظ أبدا خاصة عندما كرر ذلك مرة وثانية وثالثة، وكل مرة يزدد عنفا في هزه. وفجأة فتح الشاب عينيه بلا مقدمات فانتفض شهاب وتراجع في فزع. اعتدل الشاب جالسا دفعة واحدة هاتفا في فزع :

- هدير . أين هدير؟

قالها وهو يتلفت حوله في فزع. قبل أن تستقر عيناه على عيني شهاب. فسأله بفزع:

- من أنت ؟ وأين أنا ؟ وأين هدير؟

حدق شهاب في عينيه متفرسا وهو يقول:

- أنا شهاب. وأنت في بيت هاني وهدير في بيت جدها. ها أنا أجبتك . أجبني أنت.

نظر إليه الشاب متسائلا فتابع:

- من أنت ؟ وكيف وصلت بيت هدير ؟

ضاقت عينا الشاب بتفكير عميق اختلط بحيرة وهو يجيب :

- لا أدري . لا أذكر شيئا مطلقا.

مال شهاب نحوه قائلا:

- وكيف تذكر هدير ؟ وما علاقتك بها بالضبط ؟ وما الذي تعرفه عنها؟

أغمض الشاب عينيه لحظات ثم أرخى جسده مرة أخرى في فراشه وصمت طويلا ولم يقطع شهاب صمته وانتظره حتى قال:

- لا أذكر أي شيء. لا أمتلك في عقلي سوى صورة فتاة جميلة واسمها وصوته. لا أذكر سواها . هذا كل ما أملكه .

قالها ورفع عينيه ليلتقيا بعيني شهاب قائلا :

- أكيد أنت تعرف عني أكثر مني. ما الذي حدث بالضبط ؟ كيف قابلتني وأين ؟ وماذا تعرف عني ؟

اعتدل شهاب قائلا:

- ما أعرفه عنك يحتاج إلى تفسير. فهو شيء خيالي غير علمي أو منطقي.

ضاقت عينا الشاب في انتباه وتركيز وحيرة. وفتح فمه ليقول شيئا، ولكن جرس الباب دق. فانتفض في فزع جعل شهاب يثب من مكانه متراجعا للخلف في رعب، كاد له قلبه أن يتوقف عن النبض. اعتدل الشاب جالسا وهو يهتف بلهفة وحرارة:

- هدير . هذه هدير .

قالها ودفع الغطاء عن جسده وأسرع بالنزول من فوق فراشه. ولكن ساقاه عجزتا عن حمله فسقط أرضا ، وشهاب يتراجع بخوف. حاول الشاب أن يقف ولكنه كان يترنح وساقاه عاجزتان وهو يحاول إجبارهما وشهاب يقترب منه بحذر . تهاوى

ذراع الفتى فكاد يصطدم برأسه بالجدار لولا أن التقط شهاب معصمه وجذبه إليه واحتضنه بقلب مرتجف. ووضعه على الفراش وهو يقول بصوت مرتجف :

- اهدأ يا فتى . اجلس سو.....

تلاحقت أنفاس الفتى وكأنما بذل مجهودا ضخما. ونظر لشهاب بعينين زائغتين فقال له شهاب:

- لا تفقد الوعي ثانية.

علت طرقات هادئة على الباب المفتوح وظهرت هدير على عتبته . لا يظهر منها سوى عينيها وأناملها . عرفها شهاب من حجمها وشكلها العام . أما الفتى فتطلع إليها وتعلقت عيناه بعينيها كظمآن يقتله الظمأ، تتعلق عيناه بقطرات الماء. ولم يختلف حالها عن حاله كثيرا . فلم تنتبه لوجود شهاب أصلا، فاقتربت من الشاب الجالس على حافة فراشه قائلة بهمس:

- أنت (بدر) أليس كذلك ؟

دار الاسم في خلايا مخه يبحث عن وطن له ووجده . هذا فعلا اسمه . اتسعت ابتسامته بسعادة غير محدودة. جلست إلى جواره وفتحت حقيبتها. وأخرجت منها كيس مليء بلحم لا يقل عن ثلاثة كيلوجرامات. وشهاب ينظر إليه بذهول. كيف عرفت اسمه ؟ ولماذا أتت باللحم ؟ واتسعت عيناه بذهول أكبر حين انقض الشاب على الكيس بوحشية حيوان مفترس. وراح يلتهم اللحم نيء بنهم وشراهة.

وضاعف من ذهوله نظرات هدير للشاب . لم تكن مندهشة وكأنها رأت هذا المشهد من قبل. بل كانت مليئة بالسعادة كأم تطعم ولدها الوحيد.

فقال من وسط ذهوله:

- كيف عرفت اسمه؟ وكيف عرفت حاجته للطعام ؟!

انتفضت هدير فزعا لسماعها صوته فقالت بخجل خالطه كثير من الارتباك :

- شهاب . أنت هنا؟! ألم تطلب منك أمي البقاء في الفيلا لحراستها؟

ارتبك بدوره قائلا :

- أعلم ذلك ، ولكن....
- تطلع إليه الاثنان بترقب دون أن يتوقف بدر عن تناول اللحم. ثم حسم قراره قائلا :
- توجد زهرة أخرى في الفيلا المهجورة. ولكنها مفترسة التهمت الثلاثة الذين هاجموا الفيلا، وقتلوا والدك. ورأيتها اليوم تتلفت حولها تترقب وصول فريسة وانتبهت لوجودي على الرغم من كوني خلفها. فخشيت أن يتحول صاحبنا لوحش. ويؤذي عائلة هاني . فهرعت إلى هنا.

توقف بدر عن المضغ وهو يتطلع إلى شهاب. وعقله يعمل بأقصى طاقاته . ويتذكر . تذكر الزهرة وهو راقد تحتها حين هاجم الشاب هدير . عندها استيقظ من ثباته، ونهض ليساعد هدير. ولكنه كان ضعيفا واهنا لم يكتمل نموه بعد . ولكنها أنقذت

حياته من قبل. وصارت كل حياته، لن يتخلى عنها. تحامل على نفسه. ونهض وخرج من باطن الأرض منفصلا عن زهرته . فر المعتدي. وسقط هو فاقد الوعي .

خيم الصمت على الجميع بعد قول شهاب. حتى قطعته هدير:

- هل حاولت القضاء عليها؟
- لا . لقد خفت منها إنها تبدو أكبر وأقوى وأشرس . وأردت أن أرى المشكلة الأكبر . الشاب الذي خرج. لو كان خطرا فالخطر أكبر.

نظرت هدير إلى بدر بحنان قائلة بلهجة ظهر الحب فيها جليا :

- لا تخش من بدر شيئا . الزهرة الأخرى أخاه الأكبر (سام). وهو الخطر الحقيقي . إنه فعلا وحش، آكل لحوم البشر. وإن لم تقض عليه الآن قبل أن يخرج للدنيا. فلن يستطيع أحد على الأرض مواجهته.
- كيف عرفت كل هذا ؟

قبل أن تجيبه نهض بدر هاتفا:

- كلا لن تقد....
- لم يستطع إكمال عباره إذ سقط وسقط أمامه اللحم. فأعانه شهاب وهدير على العودة إلى فراشه وهو يكمل:
- لن تقدر عليه. لن يقدر عليه غيري. إنه...

قاطعه شهاب:

- اهدأ يا صديقي. أنت لا تقوى على الوقوف. ماذا يمكنك أن تفعل معه ؟ سأذهب إليه.

التفت إلى هدير قائلا:

- أخبري هاني بمجرد عودته . وإن شاء الله سيكون خيرا.

وقف هاني في وضع الاستعداد لمباراته الأخيرة ضد خصمه اللدود نادر. ولأول مرة في حياته يشعر بكل هذا المقت تجاه شخص محدد. قال بصوت عال، حرص أن يكون مسموعًا. وخاصة أن كل من في القاعة يلقي إليهما كل حواسه:

- حقًا أعجز عن إيجاد كلمات تعبر عن شكري لك، على ما أسديته لي من خدمات جليلة في الآونة الأخيرة.

حدق الجميع في هاني بذهول وحيرة، خاصة نادر . في حين استطرد هاني بمقت وقسوة:

- أولا أصبت زملائي فجعلتني أتحمل كل مباراتهما. فرفعت بذلك مقامي حيث انتصرت فيها جميعا.

أطلق الحكام إشارة الاستعداد. وتأهب نادر وتحفزت كل حواسه واستطرد هاني ببساطة وكأنه ليس بصدد نهائي بطولة الجمهورية:

- ثانيا انتزعت مني ورما خبيثا ، كنت أظنه حلم حياتي . فكشفت لي الحقيقة وأنقذتني منه. فلا أدري حقا كيف أستطيع أن أشكرك.

صدرت إشارة البدء وانقض نادر بكل مهاراته ومقته. وتلقى هاني انقضاضه بسهولة واستهزاء . وهو يقول بنفس الصوت الساخر العالي:

- والخدمة الثالثة. أزلت الجفوة التي كانت بيني وبين أخي علاء.

تفادى هجمة أخرى بكل سهولة. ودار حول محوره بخطوة واسعة، أصبح بها خلف نادر فطعنه طعنة في ظهره. أودعها كل غضبه. فاندفع جسم نادر إلى الأمام بقوة وكاد يسقط على وجهه لولا استطاع حفظ توازنه بالكاد.

رجع هاني لمكانه برشاقة استعراضية وهو يقول بسخرية:

- يبدو أن سيادتك تجيد الطعن في الظهر خارج الملعب فقط، أما داخله فأنت مبتدأ.

قال نادر بغضب هادر وهو يستعيد موقعه ويستعد لهجمة جديدة:

- من تظن نفسك ؟ أنت أضعف من أن تهزمني .

أطلق هاني ضحكة ساخرة رددت جدران القاعة صداها وكأنها تشارك هاني مقته لنادر. ثم قال بسخرية لاذعة :

- أنت الذي تجهل مع من تتعامل . وأنا هنا اليوم لأعرفك من أنا. ولأعلمك ما هو مستواك الحقيقي.

قالها وانقض على نادر كنسر جارح . وثب برشاقة نحو صدر نادر ورأسه. تلقى طعنة نادر على سيفه وأزاحه بعنف إلى أسفل، وانحنى نادر رغما عنه بحركة بديهية ليتفادى طعنة هاني الموجهة إلى صدره . عبر هاني من فوقه وهو يسدد طعنة أودعها

كل قوته ومقته إلى ظهر نادر. فسقط نادر على وجهه أرضا، وهبط هاني بثبات على قدميه. ونظر إلى نادر باشمئزاز قائلا :

- هل عرفت الآن من أنا ومن أنت؟ أنت نكرة في عالم المبارزة.

تحرك عائدًا لموضعه مارًا من فوق قدم نادر الذي يهب واقفا بثورة وعيناه تكاد نيرانهما تخترق قناعه الواقي قائلا بصوت ثور هائج:

- سترى أيها المتحذلق المغرور من هو نادر. ومن يضحك أخيرا، يضحك كثيرا.

اتخذ هاني وضع الاستعداد من جديد وهو يقول متهكما :

- يبدو أنك لم تلاحظ النتيجة بعد. النتيجة ثلاثة مقابل لا شيء من أول دقيقة. وللعلم أن أضحك أولا وأخيرا وأضحك كثيرا . مثلك لا ينطبق علي.
- بقي أربع دقائق. وفيها الكثير.

لوح هاني بسيفه قائلا :

- وأنا أتحداك أن تحصل مني على لمسة واحدة. إن حصلت مني على لمسة واحدة، تنازلت لك عن البطولة فورا. وأتحداك أن تمنعني من لمس ظهرك في الدقيقة الخامسة.

تبادل الجميع نظرات الدهشة والقلق وعقد عادل حاجبيه في غضب شديد . هاني يتصرف بغرور شديد لم يعهده فيه. وهذا التحدي مغامرة كبرى . فهاني مثل غيره من اللاعبين مهما ارتفع مستواه، لا يأمن أن يصيبه خصمه بلمسة. وفعلا لم يقابل هاني لاعبا في هذه البطولة إلا وفاز منه بثلاث لمسات على الأقل.

توترت كل العيون وارتجفت كل القلوب حماسا وفضولا. ولأول مرة تشعر رحمة بهذه الإثارة في حياتها. حتى خلا قلبها وعقلها من أي شيء إلا هاني والمباراة.

وخلت القاعة من كل الأصوات. حتى أصوات الأنفاس اختفت، إلا صوت صليل السيوف. كاد الجمع كله أن يقعوا من فوق مقاعدهم، وعيونهم تجرهم جرا للأمام. وهاني يتفادى هجمات نادر ببساطة مذهلة. وأسلوب استعراضي ساخر. فصارت هجمات نادر تدريجيا تفتقد إلى الدقة والمهارة . حتى صارت في الدقيقة الخامسة لا توازي هجمات مبتدئ. وحصل هاني على مبتغاه وصاح بأعلى صوته :

- حان دوري يا أستاذ فاشل، لقد أخذت فرصتك كاملة.
- انقض نادر عليه بزمجرة وحشية قبل أن يكمل عبارته. ولكنه أكملها ببساطة ودون حتى أن يأخذ وضع استعداد. وتفادها دون جهد كبير وبحركة خاطفة، صار خلفه. وطعنه بقوة استطاع نادر حفظ توازنه بالكاد. وما أن فعل وكان ظهره لهاني، حتى وثب منقضا عليه. متوقعا أن يفاجأه ، وطعن بكل شراسته وحنقه. ولكنه طعن الهواء . واتسعت عيناه ذهولا . أين ذهب هاني ؟

أتته الإجابة مع طعنة من خلفه ألقته أرضا:

- هل تبحث عني ؟

انفجرت قنبلة في القاعة المغلقة من الضحك. وأخرى من التصفيق. غلفتهما قنبلة من الانبهار. انتزع هاني قناعه ليكشف عن وجهه المشرق بابتسامة النصر. وصفف ششعر القصير المائل للصفرة، اللامع بعرقه وكأنه شعيرات من ذهب. و نظر لنادر الذي ينهض بغضب أسد جريح . وقال بزهو المنتصر :

- هل عرفت الآن من أنا؟ ومن أنت ؟

اعتدل نادر واقفا وهو ينتزع قناعه، ليظهر وجها كبركان يتفجر منه الغضب بلهيب مستعر. وعينان يتطاير منهما الشرر . فقال هاني باستهزاء:

- في المرة القادمة، تمرن على اللعب داخل الملعب. فاللمسات خارجه غير محسوبة. وأحيانا تقوي خصمك لا تضعفه.

التفت دون أن ينتظر ردا ليعانق ياسر بحرارة والأخير يهتف بسعادة غامرة:

- أحسنت يا هاني . أحسنت يا بطل. لقد صدقت حسن ظني فيك.

نسي الجميع نادر. وولوا اهتمامهم لهاني ونسوا نادر الذي راح ينتزع الواقي الذي يغطي ذبابة السيف الحادة. ولأنه لم يعتد تثبيتها بالمسامير المخصصة لذلك ، انتزعها بسهولة وسرعة . وانقض على هاني من الخلف وهوى بطعنة قاتلة على رأسه .

١٠- الوحش

ترجل شهاب من السيارة الأجرة وهو يشعر باختناق وحرارة لم يشعر بها منذ وقت طويل . فالشمس مشرقة، ولولا مياه الأمطار التي تغطي الشوارع ، لكان اليوم من قلب الصيف، ولكن تلك المياه لطفت من درجة الحرارة. وهو يرتدي ملابس ثقيلة وخاصة تلك البدلة. وهو لم يسبق له ارتداء مثلها قبل. فشعر كأنها تقيده وتجثم على أنفاسه. اقترب من الفيلا وهو يحاول التقاط أنفاسه فاتحا الجاكيت. ليتلقى صدره شيئا من أي نسمة هواء منعشة ، ولكن الهواء كان ساكنا تماما. و.....

توقف عن الحركة وتحفزت عضلاته. بوابة الفيلا مفتوحة . اندفع نحو الفيلا بحذر. واقتحم البوابة وعيناه تجوبان كل الأنحاء . وتوقفتا على رجلين أمام باب المنزل . أحدهما مفتول العضلات يرتدي بدلة سوداء . تراه تعرف أنه حارس شخصي على الفور . يحاول تحطيم رتاج باب الفيلا . والآخر ممتلئ الجسد قليلا، ذو بطن بارز . يزحف الصلع على مقدمة رأسه . بدأ الشيب يسلك طريقه في فوديه . يقف في صمت وملل عاقدا كفيه خلف ظهره . يرتدي حلة بالغة الأناقة يدخن سيجارا أمريكيا في غرور كبير.

اعتدل شهاب مقتربا منهما يشد قامته. وصاح بصوت غليظ ، ربما يستجمع به شجاعته ويقنع قلبه أنه قد ينتصر على هذا العملاق مفتول العضلات:

- توقف يا كومة العضلات. ماذا تفعل بالضبط؟

توقف الرجل واعتدل مواجها شهاب، يعتصر قبضته ، قابضا عضلاته، منتظرا إذن سيده لالتهام شهاب الذي تقدم في ثبات وثقة يتناقضان مع عاصفة الرعب العاملة في صدره. قال الرجل الذي يدخن في غضب وصرامة :

– أنا الذي أسألك ، من أنت وكيف تقتحم الفيلا هكذا.

أخرج شهاب المفاتيح من جيبه وهو يتوقف على بعد متر ونصف منهما قائلا بصلابة:

– من معه المفاتيح ليس بمقتحم. من يحاول كسر الباب هو المقتحم.

صاح الرجل في غلظة:

– لا أحب هذا العبث. أجبني من أنت وإلا .....

قاطعه شهاب متهكما:

– أطلقت علي كلبك. أليس كذلك.

زمجر الحارس وكاد ينقض على شهاب لولا أن استوقفه سيده بإشارة من يده. فتابع شهاب:

– على كل حال ، سأجرب نصيحة صديقي الجديد ، وأتبع سياسة الحوار.

صمت قليلا ينظر في عيني الضخم في تحد وقلب مرتجف :

– أنا شهاب نصر الدين . الحارس الشخصي لرشدي بيك رحمه الله. وحارس شخصي لزوجته وابنته حاليا.

نقل بصره ونظرته المتحدية إلى الآخر قائلا:

– الآن من أنتما وما تفعلان هنا.

أشار الرجل إلى البوابة باحتقار قائلا :

– هيا يافتى . ابحث لك عن لعبة أخرى. لقد انتهى دورك هنا . لقد مات رشدي وانتهى عملك.

– ومن أنت أصلا حتى تحدد إذا كان دوري بدأ أو انتهى.

صاح الرجل بغضب:

– ليس عندي وقت لهذه التراهات. أنا جابر عبدالرحمن أخو رشدي وهذا المكان أصبح ملكي الآن . هيا أرنا عرض أكتافك.

أدرك شهاب أن لحظات العنف أوشكت فنظر في الأرض لحظات يستجمع شجاعته. وشد على عضلاته كلها يستحثها ألا تخذله ورفع رأسه إلى جبل العضلات أمامه ويسأل نفسه : ترى ماذا يمكنني أن أفعل مع هذا الفيل. ثم قال في تحد وثقة على خلاف ما يدور في أعماقه:

– إكمالا لسياسة الحوار وإن كنت أشك في صلاحها . أنت على عيني ورأسي ياجابر بيك. ولا أريد أن أكون غير مهذب معك. ولا يمكنني أن أمنعك من دخول بيت أخيك . ولكن ينبغي أن تقدر موقفي. عملي هنا أن أحرس المكان. فلو تكرمت سيادتك واتصلت بالسيدة رحمة وأذنت لك بالدخول . لا أقول أني لن أمنعك بل سأقول أنا في خدمتك ياسيدي.

تطلع إليه جابر في غضب، ثم أشار إلى حارسه قائلا بهدوء غاضب:

– اسحق هذا الحشرة يا سمير وأحضر لي المفاتيح.

قالها وتراجع خشية تناثر دماء شهاب على ملابسه الأنيقة.

انقض سمير بابتسامة وحش ينقض على فريسته، وقبضة فيل يريد سحق فأر.

واتسعت عينا جابر دهشة مع صرخت الألم التي انبعثت من بين شفتي حارسه سمير ، إذ أن شهاب تلقى لمكته بمفتاح الفيلا. فقد قبض على المفاتيح كلها وأخرج أطولها من بين أصابعه، فتلقى اللكمة بطعنة في معصم سمير حتى أن المفتاح غاص كله في معصمة. وقفز جسد شهاب من قوة الضربة. ولكنه حفظ توازنه في سرعة وانقض على سمير. وانقض شهاب بلكمة تلقاه سمير على يده الأخرى. فركله شهاب بين فخذية فقبض سمير على ساقه بقبضته التي سالت عليها دماؤه. وطوح به في الهواء . واختلط كل شيء وزاغت عينا شهاب وجسده يدور في الهواء أمام هذه القوة. واصطدم بكتفه الأيمن ذو الذراع المبتور بجذع شجرة. تحامل على آلامه

واعتدل وهو يرى الرجل ينقض عليه كثور. وثب للخلف يتفادى ركلة، فانزلق في الحفرة الصغيرة التي كان يحتلها جسد بدر. وقبل أن يصل إلى الأرض . كانت قدم سمير تضرب صدره . اصطدم ظهرة بحظيرة الدواجن. وسقط على قدمية فثناهما ثم وثب رغم آلام صدره وكتفه بعدة ركلات متتابعة في صدر سمير ووجهه . حاول إصابته في عنقه أو بين فخذيه أو أسفل صدره. ولكن ذلك الرجل كان مدَرَّبا جيدا . لم يكن مجرد كتلة من العضلات. كما كان يظن. وأصابه سمير بلكمة في صدره . فأظلمت الدنيا أمام عينيه مرة واحدة.

انتبه ياسر وهو يعانق هاني لمحاولة نادر في التخلص من واقي ذبابة السيف. فقد كان ظهر هاني لنادر وياسر يعانقه . فارتاب فلم يرفع عينيه عنه . انقض نادر على هاني يهم بطعنه في رأسه. فدفع ياسر هاني بكل قوته ليسقطه أرضا وانحنى يتفادى طعنة نادر . ثم وثب نحوه فتلقاه نادر بركلة قوية في بطنه، وهم بطعنه وهو منحني من الألم في وضع ركوع.

وكان عادل الأسرع فتجاوز جسد ياسر بوثبة رشيقة. وضعت قدميه في صدر نادر بضربة قوية طرحته أرضا. وعندما حاول النهوض كان علي في انتظارة بركلة قوية في وجهه. ولكن أحد اللاعبين انضم فجأة إلى نادر. وتلقى الركلة على ساعد قوي، ودفع علي دفعة ألقته على ظهرة . وتصدى لهاني الذي حاول معاونة زملائه بركلة في كتفه . والتقط سيف نادر وشهره في وجوههم. صائحا بغضب :

– إذا تقدم أحدكم لن أترفق به.

تقدم هاني مجموعته وواجه الشاب صائحا:

– وهل تظن نفسك قادرا على التغلب علي؟ لقد فزت ببطولة الجمهورية للتو.

اعتدل نادر بسرعة ووقف جوار المدافع عنه الذي يصيح:

– لقد نال الغرور منك يا أستاذ هاني. واعتلاء الغرور أول خطوة إلى هاوية الفشل.

اندفع هاني وهو يصيح بغضب يفوق عادته :

– أرني إذن كيف ستفعل .

قبض عادل وعلي على ذراع هاني وأجهضا هجومه على نادر وصاحبه. واختلط اللاعبون والمشاهدون وفصلوا بين الفريقين .

وفي حجرة تغيير الملابس، جلس نادر وصاحبه يقول له بغضب ومقت:

– لقد بلغ بغضي لهذا الفتى ما لا يمكن احتماله.

قال نادر بمقت يفوق مقت الكافر للإسلام:

– كم أمقته . ولن تفوت إهانته لي اليوم دون عقاب.

ربت الشاب على كتفه قائلا بتعاطف:

– ولكنك أحسنت لما فعلته به. إنه يستحق ذلك. بل يستحق أكثر من ذلك. لماذا لم تضع المخدرات له بدلا من أخيه وأرحتنا منه.

ضرب نادر قبضته في راحته هاتفا:

– معك حق. ولكن ضرباتي السابقة كان لها مغزى. وإن لم تحققه . ولكنه لا يستحق الحياة . إهانته لي اليوم ليس لها جزاء إلا الموت.

انحنى الشاب يبحث عن شيء في حقيبته وهو يقول:

لا أظن القتل فكرة سديدة. المخدرات أصوب. تهمة الاتجار في المخدرات تدمر حياته كلها. وأنت فعلتها مرة . ولكنها على ما يبدو لم تكن محكمة. لقد خرج أخوه ولم يبت ليلة واحدة في السجن . دع هذه المهمة لي هذه المرة.

نظر نادر إليه لحظات بتردد ، على الرغم من عدم معرفته للشاب لكنه يبدو مؤيدا له مبغضا لهاني لأقصى حد ثم قال بعد تردد بغيظ:

– لا أدري كيف أَخْرَجَ أخيه منها. لقد أعددت الأمر جيدا و .....

انتبه نادر إلى ذلك الشيء الذي أخرجه الرجل في حقيبته فتوقف سائلا بحيرة:

– ما هذه القيود ؟ وماذا تفعل بها؟

قال الشاب بابتسامة نصر تزين شفتيه:

– إنها هدية لك. هذه قيود الشرطة ألا تعرفها . وأنا ضابط شرطة. وأنت مقبوض عليك. مبارك عليك خسارة البطولة و خسارة حريتك.

♥♥♥♥♥♥♥♥♥

لم يشعر في حياته بمثل هذه المتعة. ما الذي كان يربطه بأماني؟ كلما اقترب من رحمة أكثر كلما أيقن أن حبه من أماني كان وهما. مجرد وجودها معه في السيارة على الرغم من كونها في المقعد الخلفي مع منار . وهو في المقعد الأمامي مع ياسر . إلا أنه يشعر بها وكأن قربها في المكان يمزج روحيهما فيصيرا كيانا واحدا بجناحين يخفق بهما في جنة عالية . تتلاشى الدنيا بأسرها أمام عينيه فلا يرى إلا عينيها. على الرغم من كونها خلفه. كان يتكلم مع ياسر وقلبه ينبض باسمها. استغل صمت الحوار بينه وبين ياسر واستدار بجذعه إليها وسألها بعاطفة جياشة لم تخف على ياسر ومنار اللذان التزما الصمت حتى كادا يحبسا نفَسيهما:

– كيف حالك الآن هل تشعرين بأي آلام؟

التقت عيناهما . شعر وكأن نسيما دافئا اجتاح كل خلية في خلاياه. ولم يستطع هذه المرة أن يتخذ قرارا بالتخلص من سحر عينيها. أجابته بصوتها الرقيق الذي ملأه الألم :

– الحمد لله.

– كلا يبدو عليك الألم. ما كان ينبغي أن تأتي.

- ما كنت أستطيع ألا آتي. لقد انشغل ذهني بالوساوس خوفا عليك.

ابتسم قائلا:

- لا تخافي علي . أنا هاني عامر.

ابتسمت ابتسامة أشرقت لها عيناها كشمسين زيتونيتين فزاد سحرهما. قالت بصوت تلاشى منه الألم وتراقص المرح والسعادة بين حروفه:

- الغرور. احذر الغرور.

- في أوج نصري ، تحذريني من الغرور. من حقي اليوم أن أكون مغرورا. هزمت خصمي هزيمة نكراء. وأودعته السجن بخطة شهد لي الرائد أيمن نفسه أنها عبقرية. فكيف أبعد الغرور عن نفسي.

خفضت رحمة بصرها لحظات ، شعر هاني بالبرد يتسلل إلى أطرافه. إلا أنها رفعت عينيها إليه ثانية ليعود الدفء يطرد البرد من جديد. ويتربع على عرش قلبه وهي تقول بصوت هامس:

- وهل يحتل الغرور قلبك كله أم فيه نصيب للحزن ؟

عقد حاجبيه بدهشة مفكرا:

- ولما الحزن؟!

أخفى النقاب احمرار وجهها ولكنه لم يخف ابتسامتها الخجلى وهي تهمس بتردد:

– على ..... على ..... حبيبتك التي هجرتك.

غمرته سعادة فاحت في جنبات كيانه وكأنه نسيم عطر مسكر من شدة عطره. إنها تغار . وغيرتها هذه أسعدته. ابتسم قائلا:

– لم يكن حبا على الإطلاق . كان وهما كبيرا. بنته هي وزينته فظننته قصرا منيفا. فإذا به كخيوط العنكبوت.

– نسيتها أم لم تحبها أصلا؟

ظل ينظر في عينيها صامتا لحظات ثم قال:

– كان وهما ، ما كان حبا .

أشرقت عينيها أكثر. فشعر بنبضات قلبه وكأنها محاولات مستميته للفرار من صدره ليغوص في صدرها. يعانق لُبَّها فيمتزجان في جسد واحد. تورد وجهها بحمرة الخجل. شعر أن نبضه صار له دوي مسموع . وتوقفت السيارة.

انتبه كلاهما ، فاعتدل هاني في مقعده وخفضت هي بصرها في حياء واحمرار وجهها يزداد. قال هاني بمرح وصوت مضطرب :

– هل وصلنا؟

قال ياسر بمرح وهو يوقف المحرك:

– نعم وصلنا. ولكن لو تريد جولة أخرى لا بأس.

ترجل هاني من السيارة قائلا بأسلوبه المرح:

- يكفيك هذا. يمكنك أن تستريح قليلا ثم ترجع لتواصل عملك.

لم يفهم ياسر دعابة هاني فابتسم بدهشة سائلا:

- أي عمل؟!

فتح هاني الباب لرحمة قائلا :

- عملك لدي . أنسيت أنك سائقي الخاص .

أخرجت رحمة قدميها من باب السيارة بصعوبة ولدتها آلام جراحها. مد هاني يده إليها ليساعدها في النزول من السيارة. وتذكر لمسة يدها في الليلة قبل الماضية ، تذكر إحساسه بها . وكذلك هي تذكرت. بمجرد أن رأت يده ممتدة نحوها. تنادي أناملها شعرت بالدفء في أناملها كأنها لمست أنامله بالفعل. بل وشعرت بالدفء يسري في جسدها كله. تحركت كل مشاعرها. ونبض قلبها بأعلى صوته : هيا مدي يدك إليه. لا تحرمي نفسك من هذا الشعور الذي لم تذوقيه قبل ظهور هاني في حياتك. شعرت بقلبها يحاول دفعها ليلتقي قلبه. ورغبة تعصف بكل خلية من خلايا جسدها أن تلقي نفسها بين ذراعيه. وتغمض عينيها وتنسى الدنيا والناس و .....

أفاقت فجأة ويدها تتحرك نحو أنامله . وجذبت يدها في حدة وهي تعقد حاجبيها الرقيقين في غضب وهي تصرخ في نفسها : – ما هذا يا رحمة ؟ لقد جننت حقا. كيف تسمحين لمشاعرك في السيطرة عليك هكذا؟ بل كيف تسمحين لها بالتسلل إلى قلبك من البداية؟ لقد جننت حتما . لابد لهذا الجنون أن ينتهي . لابد أن ترجع رحمة القديمة كما كانت . ابنتك صارت عروسًا . وأنت ترجعين مراهقة. قالت بصوت صلب خال من المشاعر:

– آسفة يا أستاذ هاني . ولكن هذا لا يجوز شرعا .

لم تتغير ابتسامة هاني. وتراجع وهو ينادي على منار لتساعدها ولكن قلبه كان مصدوما كما لو أنه تلقى ضربة قوية . ونقل بصره إلى ياسر الذي يخرج من السيارة قائلا:

– ما دمت سائقك الخاص ، فمن حقي عليك أن أتناول الغداء عندك.

دار هاني حول السيارة قائلا:

– إذن فأنت مرفود. لا أحب السائق الذي لا يطيع الأوامر .

لم يستطع أن يحدد ما مصدر صدمته بالضبط. أسلوبها ونظرة عينيها الجامدتين على غير عادتها. أم حرمانه من تذوق رحيق أناملها. انتبه وهو يتوقف بجوار ياسر إلى هدير وبدر وهما يخرجان من بوابة المبنى . تطلع إليهما في صمت لحظات حتى اقتربا منهما. فسأله هاني بدهشة وإشفاق فالشاب يبذل مجهودا واضحا في مشيه:

- كيف حالك يا أخي ؟

خرجت رحمة من السيارة معتمدة على يد منار، ونيران غضبها على نفسها تتصاعد وتعلو وهي تتذكر كل ما حدث منذ رأت هاني لأول مرة ، عندما اقتحم حجرتها وزوجها على وشك ذبحها بزجاج المرآة فأنقذها . إلى هذه اللحظة. وفكرة واحدة تنمو وتكبر مع نيران غضبها. لابد أن تنتهي هذه القصة . فهذا الحب بلا أجنحة . أو أجنحته أضعف من أن تعلو فوق العقبات التي تواجهه . مصيرها محتوم . ستعيـ .....

انتبهت وهي تعتدل واقفة إلى ابنتها التي لم تبحث عنها مطلقا وأخذت هاني وراحت تتكلم معه بصوت خافت وتوتر بالغ. فاشتعلت نار أخرى في صدرها. لم تستطع تحديد كنهها. نار غيرة. أم نار غضب لإهمال ابنتها لها. اقتربت منهما بخطى أثقلها الألم.

وقبل أن تصل إليهما التفت هاني إلى بدر قائلا :

- اهدأ يا صديقي وعد مع هدير . وأنا سأسرع إلى شهاب وأساعده. وثق بي. هيا.

ثم التفت إليها قائلا :

- وأنت يا سيدتي استريحي أرجوك ولا تبذلي أي مجهود.

ثم وثب في السيارة مسرعا وهو يخاطب ياسر بمرح:

– وأنت أيها السائق سأعيدك لعملك بشرط أن تطيع الأوامر.

اتخذ ياسر موقعة خلف عجلة القيادة قائلا:

– وأنا أوافق بشرط أن أتناول العشاء معك.

تحركت السيارة وهو يقول وعيناه تتابعان سيارة نادرالتي توقفت بجوارهما:

– أعدك أن أفكر في الأمر . هيا انطلق بسرعة . لا وقت لدينا ليضيعه هذا الحقير. هيا.

برد شديد يعض كل خلية في جسده. والألم ينهش فى كتفه الأيمن. وينبش مخالبه فى أجزاء متفرقة في جسده . انتفض من البرد والألم وهو يفتح عينيه . رأى بعينين زائغتين سيارة سوداء تخرج من البوابة و سمير الحارس الشخصي لجابر يعود متجها نحوه. ويحرك أنامله يمسح بها على الضمادةالطبية التى تغطي معصم يده اليمنى بألم وغضب .

ابتسم شهاب رغم آلامه والصداع الذى يعصف برأسه قائلا:

- هل تؤلمك؟

توقف سمير أمامه و قال بغضب ممزوج بسخرية:

- ليس بالقدر الذى يؤلمك به كتفك.

نظر شهاب إلى كتفه فرأى الدماء تختلط بالوحل على كتفه وبدلته وقميصه. فابتسم بتهكم وقال وهو يعتدل في وقفته ويفحص قيوده التي تقيده إلى شجرة عالية:

– لقد أفسدت أول بدلة أرتديها في حياتي.

مسح سمير بيده اليسرى على صدر شهاب قائلا بسخرية:

– آسف يافتى أني لم أمزقها . ولكن...

أمسك بالكم الأيمن الخالي من الذراع واستطرد:

– لم يفت الأوان بعد.

قالها وانتزع الكم بكل قوته. وامتزج صوت تمزقه بصرخة ألم انبعثت من فم شهاب سال الدم بعدها دافئا من الجرح الطويل في كتفه.

شد شهاب على أسنانه بغضب وألم ثم هتف بغضب:

– تشعر بالقوة وأنا مقيد هكذا ؟

ربت سمير على كتف شهاب بقوة آلمته كثيرا وهو يقول بتهكم:

– لقد كنت حرا منذ قليل فماذا فعلت ؟ لا شيء .

أتته الإجابة من بوابة الفيلا على لسان هاني:

– وليس من الرجولة أن تضرب رجلا مقيدا.

استدار سمير بغضب إلى هاني الذي اقترب منه بخطوات سريعة واثقة وملامحة غاضبة صارمة . بعثت في قلبه خوفا على الرغم من فارق القوة العضلية بينهما. فصاح في غضب حاول أن يخفي به خوفه:

من أنت وماذا تريد ؟

توقف هاني على بعد خطوة واحدة منه وهو يقول بصوت ينم عن ثقة أسد من التهام غزال هذيل على بعد خطوة منه:

- أنا ؟.. لا يهمك أن تعرف من أنا. أما ما أريد، فأمر يسير ، أن تغادر فورا وإلا. .

تأمل سمير جسد هاني بسرعة وقارنه بجسده. وتخيل لكمة من قبضته على فك هاني الذي يقف في متناول يده فعلا. ولكنه تردد. يراوده شعور أن . ذلك الوجه الذي يدعو قبضته للكمه ليس سهلا كما يبدو. فقال لهاني بتحد:

- بل أنا الذي .....

قاطعه هاني بإشارة من سبابته قائلا بصرامة:

- هسس .. ليس لدي وقت لك. لقد نفد وقتك لدي . هيا غادر فورا.

أشعل أسلوب هاني الغضب في قلب سمير. فنسي الخوف الذي يعبث في قلبه. وهوى بقبضته على وجه هاني فضرب الهواء . فزاد غضبه . وانطلقت ضرباته ما بين ركلات ولكمات ووثبات وهاني يتفادى ويتراجع ويدور في الحديقة دون أن يبتعد

عن مرمى ضرباته. وأثناء هذا تسلل ياسر وخلص شهاب من قيوده. فانتزع شهاب سترته وألقاه أرضا وانقض على سمير بصيحة قتالية ملأها الغضب. فالتفت ليرى قدم شهاب في وجهه. ولم يجد وقتا ليلتقط أنفاسه. انهالت ضربات شهاب على وجهه ورأسه وكأن له أربعة أقدام وقبضتان. نادى هاني على شهاب ليوقفه. ولكن ثورته صمت أذنيه. حتى اصطدم ظهر سمير بسور الحديقة وارتد عنه في عنف. وقبل أن يسقط التفت ورقة شجر حول عنقه. وجذبته لأعلى. شهق شهاب في رعب وهو يتراجع لاهثا. في حين وثب هاني يتعلق بساق سمير يمنع الزهرة من التهامه . وأسرع ياسر يساعده. والمسكين يحاول التخلص من ذلك الشيء الذي يخنقه ويجذبه إلا الناحية الأخرى من السور. وانضم شهاب إليهما مما ضاعف من رعب سمير وألم ظهرة الملتصق بحافة السور. وبدأ جسده في الهبوط لأسفل وقد احتقن وجهه بشدة . امتدت ورقتان أشبه بذراعي أخطبوط في القوة . التفت إحداهما حول عنق هاني والأخرى حول ذراع شهاب . وارتفعت أجسادهم في الهواء وجميعا يقاومون باستماته وصرخاتهم تعلو. وياسر يتراجع بارتياع وقلبه ينبض بقوة يكاد يحطم ضلوعه.

ماذا يفعل؟ لا يجرؤ على الاقتراب. ولا يمكنه أن يهرب ويتركهم . تلفت حوله في حيرة واضطراب والرعب يعصف بقلبه. رأى حظيرة الدواجن . وثب نحوها، وانتزع لوحا خشبيا ثم التفت إلى أصحابه. فلم ير منهم أحدا. اندفع نحو السور

ولكن بعيدا عن متناول الوحش النباتي. وثب يتعلق بالسور فأتاه صوت نادر من خلفه:

- أين هاني يا ياسر ؟

التفت إليه وهو لا يزال متعلقا بالسور فوجده يندفع نحوه حاملا سيفين. فوثب مرة أخرى واندفع نحو نادر الذي قال بثورة :

- أخبرني أين هاني. هل هرب للناحية الأخرى.

ثم التفت إلى السور وهو يواصل اندفاعه :

- لن تهرب مني يا هاني. سأهزمك. لن ....

قاطعته وثبة ياسر في صدره. فسقط على ظهرة . وقبل أن يفيق من صدمته كان ياسر قد انتزع سيفًا من يده وانطلق نحو السور، ألقى السيف ووثب خلفه ثم التقطه واستدار إلى حيث النبات المفترس. وشهق في ذهول ورعب . لقد غلف النبات الثلاثة بأوراقه وقد همدت حركاتهم تماما ، عرفهم بالحجم فقط، إذ يتوارى الجسد بالكامل. صارت الأوراق أشبه بغشاء أخضر. سيطر على ذهوله دون رعبه. واقترب بحذر ورعب الفريسة بين مخالب مفترسها . والزهرة تنظر إليه بوحشية تنتظر اقترابه.

كان يمسك السيف بيده اليمنى المصابة . بيد أن رعبه كان أكبر من أي ألم الآن.

تحركت الأوراق الحرة كلها دفعة واحدة عندما أصبح ياسر في متناولها ، وكان هو أيضا ينتظر هذه الحركة . فتحرك ذراعة وكل عضلة في جسده بكل ما أوتي من مهارة وسرعة وقوة. وراح يمزق في الأوراق الأخطبوطية. وهي تقاتله بشراسة وتضربه بقوة. بدأ ينسى رعبه ويندمج في قتاله. وتخلت الزهرة عن فرائسها الثلاثة. لتقاتل ذلك الخصم الذي راحت سرعته وقوته تزداد. فراح يستأصل أوراقها بشراسة ، ونادر يراقب هذا القتال العجيب بذهول ورعب من خلف السور.

وقف يلهث بعد أن اجتثها من فوق الأرض فما لها من قرار. يتصبب العرق من كل جسده ، والدماء تتقطر من يده الممسكة بالسيف. ألقى السيف واعتمد براحتيه على ركبتيه راكعا يلتقط أنفاسه.

جلس بجوار هاني الفاقد الوعي يحاول إفاقته. فتح هاني عينيه بأقصى اتساعهما في رعب وهو ينتفض مبتعدا عن ياسر.

وثب نادر إليهما وياسر يقول بصوت لاهث:

– لا تخف يا هاني. إنه أنا صديقك ياسر .

حدق فيه هاني بذهول وكأنه لا يعرفه ونادر يصيح بتحد غاضب:

– هيا انهض وبارزني. لقد خدعتني في البطولة. ولن يمكنك خداعي الآن.

تطلع إليه هني برعب وذهول نظرات خاوية في حين رفع ياسر وجهه إليه صائحا بغضب:

– ألم تر الذي حدث. هل فقدت ثم أن البطولة قد انتهت. وانتهى كل شيء. تقبل الهزيمة بصدر رحب كرياضي.

وكزه نادر بسيفه بقسوة وكزة جرحته وهو يهتف باحتقار:

– من أنت كي تتكلم ؟ هل صدقت أنك مبارز حقيقي؟ لولا هاني ما وصلت لبطولة الجمهورية.

التقط ياسر سيفه بغضب وهو يصيح:

– سأريك من أنا يا قمامة المتبارزين.

هب واقفا وهو يشهر سيفه في وجه نادر قائلا:

– وهذه فرصتي لأثبت لنفسي أني أستحق لقب بطل مصر.

انقض كل منهما على الآخر بشراسة واشتعلت بينهما مبارزة عنيفة شبه متكافئة . واستعاد هاني وعيه كاملا فأدار رأسه فيما حوله . رأى مبارزة ياسر ونادر . وبقايا الزهرة على الأرض. وتذكر كل شيء. وضرورة القضاء على الوحش قبل أن يخرج. وما دام نصفه النباتي قد انتهى فخروجه صار وشيكا. أسرع إلى شهاب يوقظه مزق الغشاء النباتي من حوله ولاحظ حركة سمير فقال له وهو يهز شهاب:

- لابد أن تساعدنا في القضاء على ذلك الوحش. أبعد سمير بقايا الأوراق النباتية من حوله في رعب وكأنها ستكمل محاولة التهامه. ونظر إلى ياسر ونادر وهما يتبارزان . ونهض شهاب ينتفض في رعب يتلفت حوله في ذهول قائلا:

- يا إلهي .ماذا فعل بنا هذا الشيطان ؟ شعرت وكأنه اخترق عقلي.

انطلقت صرخة ألم من فم نادر. جعلت الجميع ينتفض في رعب ناظرين إلى مصدر الصرخة. إلا ياسر الذي غاص سيفه في كتف نادر.

سحب سيفه بقسوة قائلا بزهو وشماتة:

- هل عرفت الآن من أنا. أنا بطل مصر أيها الفاشل. وأنت ....

أخرصته رصاصة انطلقت من مدخل الفيلا المحطم. اخترقت كتفه الأيمن. وانقض ثلاثة رجال عرفهم هاني فورا. نفس الثلاثة الذين حاولوا إصابة يده وهم يصوبون مسدساتهم نحو ياسر الذي ظل واقفا ينظر إليهم بغضب، اختلط بألم. والدماء تغرق صدره . وانطلق سيف نادر يشق الهواء إلى قلب ياسر الذي ينظر إلى حمدي في ترقب وحذر.

جلست رحمة زائغة العينين، أبوها أمامها يكلمها يحاول إقناعها بالعودة معه إلى بيته أو بيتها. وابنتها تجلس جوارها على حافة الفراش تشترك أحيانا مع جدها في محاولته . ورحمة في شغل عنهما . منذ عرفت بأمر الوحش من هدير، وقلبها ينبش في

ضلوعها يريد الفرار إلى حيث هاني. تتأرجح بين الخوف النامي. ولوعة الفراق الداني. الذي يدق الباب مع كلامها. ولا تدري حجة للبقاء . وما من سبب لترى هاني بعد ذلك. لقد انتهت القصة هنا.

– هيا يا رحمة. أجيبيني. أتكلم منذ أكثر من الساعة وأنت شاردة . وصامتة. هلا أجبتني.

بكت رحمة وانهمرت دموعها فجأة وكأن عينيها كانت تحاول منعها. فزفر الشيخ عمار بغضب ونفاد صبر. في حين قالت هدير:

– اهدأي ياأمي بالله عليك. ولا تبكي هكذا. لو تريدين العيش عند جدي طوال العمر ليس عندي مانع ولكن .....

قاطعها الشيخ عمار بغضب:

– لا أدري ماذا يبكيك الآن. فقط أخبرينا بما تريدين.

قالت بصوت مزق البكاء حروفه وهي تنهض واقفة على الأرض بألم:

–لا شيء يأبي .

صمتت تبتلع ريقها بصعوبة. عندهما حق. لا يمكنها أن تبق أكثر من ذلك. وقصتها مع هاني لا يمكن أن تبدأ. لابد أن تتجرع كأس المعاناة من جديد. هذا قدرها.

ولكن فلتراه لآخر مرة . تودعه قبل أن ترحل للأبد. قالت وهي تجفف دموعها بأناملها الرقيقة:

– سأرحل معكما. الأمر لا يحتاج إلى إقناع. هذا شيء بديهي. كنت فقط...

صمتت برهة ترتب الكلمات على لسانها خشية أن تقول كلمة تفضح أمرها أمام أبيها:

– أظن أنه ليس من اللائق أن نغادر دون أن نستأذن هاني نحن في بيته و يجب...

قاطعها قائلا بصوت هدأت حدته :

– والدته موجودة وهي سيدة البيت. و..

دق جرس الباب كصاعقة أصابت صدر رحمة. فانتفضت في فزع مطلقة صرخة رعب، ووثبت نحو أبيها وقبضت على ساعده بفزع وهي ترتجف.

اتسعت عيناه دهشة وإشفاقا وربت على راحتيها مهدئا :

– إنه جرس الباب فقط يا حبيبتي ماذا بك؟

ارتجفت دون أن تجيبه وهي ترهف السمع للباب وهو يفتح . وصوت منار تسأل الطارق من هو. وأرهفت سمعها أكثر تسمع صوته. وازداد ارتجافها وبكاؤها وهي تقول :

– إنه هو . إنه رشدي .

وسقطت بين ذراعي أبيها فاقدة الوعي.

وثب شهاب بسرعة خاطفة وقبض على معصم نادر. ودفعه أمامه بكل قوته على حمدي ووثب نحو الآخران. ورأى هاني حمدي يلتقط نادر بذراعه الأيسر، ويصوب مسدسه نحو شهاب الذي ركل المسدسان من يدي الرجلان. فاندفع نحوه بوثبة في صدره.

تراجع سمير بتوتر وتردد شديدين. هذه المعركة لا تخصه. كل ما يخصه حراسة الفيلا. وهم الآن خارجها. صحيح هاني وياسر أنقذا حياته. ولكن حياته أولا. راقب المعركة وهو يتراجع بخطوة أخرى ورأى ياسر المصاب برصاصة ، يتحامل على نفسه و يلقي بها في المعركة. ارتفعت موجة دهشتة من هذا الشاب الذي يتفانى في الدفاع عن أصحابه. ولكن موجة عاتية من الرعب والذهول أطاحت بموجة الدهشة وبددتها. بل أطاحت بكل وعيه وإدراكه. فقد تحركت الأرض تحت قدميه فانزلق وهو يصرخ بارتياع وسقط على ظهره. وواصلت الأرض تحت قدميه في الارتفاع والتشقق. تجمد الجميع بلا استثناء وهم يتابعون خروج ذلك المجهول من تحت الأرض . وسمير يزحف على ظهره مبتعدا و قبضت علي قدمه اليسرى يد عجيبة تتدلى منها الجذور النباتية الممزقة. انطلقت صرخاته المذعورة. وتراجع الجميع برعب، والوحش يخرج من حفرته ويجذب سمير الذي جن جنونه في محاولاته للخلاص، نفض هاني رأسه بقوه وانقض نحو الوحش . التقط سيف

ياسر من فوق الأرض وواصل انقضاضه على الوحش الذي غرس أنيابه في عنق سمير .وهوى بسيفه على عنق الوحش . وطاشت ضربته وغاص سيفه في الأرض الطينية. لقد تحرك الوحش بسرعة غريبة ودون أن يتخلى عن ضحيته أو يتوقف عن التهامها. انقض مرة أخرى وثانية وثالثة والوحش النباتي بجذوره المتدليه يتفادى بسرعة وبساطة ومهارة ظن هاني يوما ألن يمتلكها أحد غيره. كان يلتهم الشاب بنهم وسرعة رهيبة وكأنه لا يمضغ، يقطع، فيذوب اللحم في فمه ويبتلعه فورا.

التفت شهاب حوله وقلبه يكاد يمزق ضلوعه من شدة النبض كما لو كان يحاول الهرب من هذا المكان . رأى نادر ورفاقه يهربون . هربت أنفاسه معهم وهو يتمنى اللحاق بهم ولكنه لن يتخلى عن هاني. لم يكن أبد جبانا أو نذلا. لم ير يوما شخصا يريد المساعدة وامتنع عن مساعدته وهو يستطيع. ازدرد لعابه بصعوبة وأطلق لقدميه العنان وانقض على الوحش يساعد هاني وكأنه يجبر قدميه على التقدم وعدم التراجع.

كان متيقنا أن قدمه ستصيب رأس الوحش الذي يوليه ظهره. وهاني أمامه يوجه له طعنات لا تصيب غير الهواء.

تحرك الوحش في اللحظة الأخيرة. تفادى القدم وضرب شهاب الذي مازال جسده في الهواء بقدمي سمير. ودار حول محوره وألقى بقايا سمير في وجه هاني. وسقط الاثنان سويا.

سقط ياسر فاقدا وعيه وهو يحاول الاقتراب مترنحا. تراجع كل من هاني وشهاب وهما يهبان واقفين في تحفز ورعب وفكرة واحدة تترأس تفكيرهما. لقد خرج الوحش . لقد فشلا في منعه . فهل سينجحا في القضاء عليه؟

وقف الوحش بينهما بثقة وانتزع الغشاء النباتي عن وجهه ورأسه والدماء تغطي وتسيل من فمه .

كان يشبه بدر في ملامحه ولكن مع فارق الجسم . هذا أضخم وأقوى بكثير. أكمل الوحش انتزاع الغشاء النباتي عن باقي جسده. وهو ينقل بصره بينهما باستهزاء وسخرية احتلت شفتيه الملطختان بالدماء.

راح هاني يتأمله بتحفز. وعقله وعيناه تفحصانه بعمق تبحثان عن نقطة ضعف. يحاول تقدير قوة خصمه. هذا الوحش البشري النباتي. يمتلك مهارته في التفادي، وسرعة شهاب ومرونته في توجيه الضربات. وقوة سمير المسكين العضلية. هل اكتسب هذا عندما استولى على أجسادهم . أم أن هذه مهاراته العادية اكتسبها في حياته السابقة.

وقف الفتى بجسده العاري . اللامع تحت أشعة الشمس التي عزمت على الرحيل عن هذا الجزء م الأرض. وتترج المجال للظلام يقوم بعمله. وأشار إليهما بيديه قائلا بتهكم:

– هل اكتفيتما. ألن تواصلا هجومكما ؟

التقت عيون هاني وشهاب و كل منهما يحمل السؤال نفسه : – ما الخطة ؟ كيف سنواجه هذا الشيء؟

ثم سأله هاني وهو يقترب خطوة :

– ماذا تريد بالضبط؟ يمكننا أن نتوصل إلى حل .

قال شهاب وهو يدنو بخطوة هو الآخر:

- لن تجدي سياسة الحوار خاصتك مع هذا الحيوان يافتى.

رد عليهما الشاب بسخرية:

- مشكلتي بسيطة ياذا الشعر الأشقر. أني جائع وأنت اللحم الذي أشتهيه.

اقترب هاني وشهاب خطوة أخرى وهاني يقول:

- يبدو أنني سأميل إلى رأي صديقي شهاب هذه المرة.

قالها وانقض على الوحش وانقض معه شهاب في نفس اللحظة . وعلى الرغم من أن شهاب هو الأسرع إلا أنه لم يرد أن يسبق هاني. أراد أن يرتب ضربته على ضربة هاني حتى لا يضرب أحدهما الآخر.

وكان هذا ما يخطط إليه هاني بالضبط. فوجه ضربة إلى فخذ الوحش الشاب لا مهرب منها إلا بالوثب عاليا . فوثب بالفعل في نفس توقيت وثب شهاب الذي

فهم خطة هاني فوثب بأعلى ما يستطيع ليضرب خصمه في الهواء. وكاد ينجح لولا وثبة سام الأقوى والأعلى فتجاوز شهاب الذي بدا له سام وكأنه يطير.

عبر جسم شهاب من بين هاني وسام .وكل منهم في اتجاه. وهوت قدم سام على كتف شهاب كالصاعقة فضربت به الأرض بجوار هاني بقوة تناثر بها رزاز الماء والطين. وكأن جسم شهاب انفجر. حتى أن قلب هاني توقف من الفزع من دوي الضربة. لولا وثب شهاب واقفا بسرعة قبل حتى أن تلمس قدمي سام الأرض. فنظر إليه هاني بارتياح خالطه كثير من القلق. فرأى في ملامحة كم الألم الذي يصرخ في جسده . ولم تستغرق نظرته جزء من ثانية . لقد أدرك سرعة خصمة وخطورة إمهاله فرصة لالتقاط أنفاسه.

حاول أن يصيبه قبل أن تلامس قدماه الأرض. وكأنه كان ينتظر الضربة. إذ كانت قدمه أسبق إلى قبضة هاني الممسكة بالسيف والأخرى في صدره دفعته بقوة في الهواء والألم يتفجر في صدره ، ولكنه هبط على قدميه وانقض فورا و هو ينظر إلى سام يتفادى لكمات شهاب وركلاته بمرونة مذهلة . وانزلق من بين قدمي شهاب ولكن خصمه كان يتابعه. ففي نفس اللحظة التي تجاوز فيه شهاب من تحته موجها طعنة إلى قلب سام كان الأخير يتجاوز شهاب من فوقه بضربة في كتف شهاب المبتور الزراع . سمع هاني وطعنته تضرب الهواء صوت عظام شهاب وهي تتحطم بصوت مزق قلبه تمزيقا . اعتدل بارتياع ليرى شهاب يسقط ولا يستطيع التقاط

أنفاسه. تلقاه بين زراعيه وعينيه تلتقطان الألم الذي يمزق وجهه بقسوة. فصرخ بارتياع:

- شهاب . أخي . ماذا فعل بك ...

جاهد شهاب ليخرج حروفا مزقها الألم:

- احذر يا هاني . اهرب من هذا الشيطان لن تقدر عليه . انج بحياتك.

رفع هاني عينيه إلى سام بغضب جم ودمعة تفر من عينه فرآه قابضا على السيف الآخر وينظر إليه بسخرية قائلا:

- لا هرب يا صاح. أنتم جميعا عشائي اليوم .

وضع هاني شهاب برفق وعيناه لا تفارق سام. التقط نفسا عميقا ومسح دمعته بيده واتخذ وضعا قتاليا وهو يحمد بركان غضبه وختم عليه بابتسامة ساخرة بدوره قائلا:

- لسوء حظك أيها الوحش النباتي أنك وقعت في يد رجل بخيل. لن تذق منه ولا حتى شربة ماء.

اقترب منه سام بحذر متخذا نفس الوضع تماما قائلا:

- لا مجال للحديث عن البخل والكرم عندما انتزع ما أريد عنوة . فلا خيار لك.

- هذا القول لا يصدر من زهرة لا حول لها ولا قوة لأسد هصور.

انقض كلاهما على الآخر وشهاب يراقبهما بعينين زائغتين زاهلتين . ما كان يتخيل أن يصمد هاني هكذا. بل يقاتل ببراعة ولكن سام يفوقه في القوة الجسدية . وبالفعل كلما استمرت المعركة كلما خارت قوة هاني .

غاصت الشمس في الأفق وهاني يتفصد عرقا تتلاحق أنفاسه وكأنها تتسابق في الخروج. وخصمه مازال في أوج نشاطه. وبدأت الظلام يسدل أستاره أمام عيني شهاب . ورأى وهو يصارع فقدانه وعيه سيف سام يغوص في صدر هاني وأظلمت الدنيا وغاب عن وعيه.

الضباب يحيط بها وكأنه قيود. أنفاسها ثقيلة كأن على صدرها جلمود صخر . تنتفض من البرد والخوف انتبهت أنها ترتدي نفس القميص الممزق من ضرب زوجها لها . تنتفض من الخوف أن يراها أحد وهي عارية . أين هي بالضبط فراغ ، ضباب، برد قارص يجمد أطرافها. تلفتت تبحث عن شيء يسترها ويدفئها و.. سمعت صوته. رشدي زوجها. تراجعت في زعر وهي تصرخ:

- كلا أنت ميت.

سمعت صوت الحزام الجلدي يشق الهواء ويسقط على ظهرها بألم لا يطاق . صرخت بألم ورعب وَعَدَتْ للأمام مبتعدة . وبرز أمامها من الضباب وهوى عليها بضربة قاسيه وهو يصرخ فيها:

- سأمزقك إربا أيتها الحقيرة . هل ظننت أنك نجوت مني.

صرخت بألم ورعب ولكن صرختها انحبست في صدرها. عجزت عن إخراجها وهو يهوي عليها من جديد. يضربها ويسبها بأغلظ الألفاظ و ..... تذكرته. هاني . الذي أنقذها من قبل. قادر أن ينقذها اليوم. حاولت أن تصرخ باسمه بأعلى صوتها فيخرج صوتها بلا صوت. تجاهد وتحاول والضربات تهوي عليها بلا رحمة . الألم يتصاعد وصوتها حبيس حنجرتها. وجاهدت أكثر تنادي عليه:

- هاني.

أخيرا خرج صوتها قويا ولكن أين هاني لم يرد عليها لم يهرع لنجدتها . هوت ضربة جديدة على وجهها من حزام زوجها. وإن بدا وجهه بشعا وكأنه وحش أسطوري، رؤيته أكثر إيلاما من ضرباته. صرخت بألم من الضربة، ثم صرخت باسم هاني من جديد . سمعت أصواتا مختلطة . بحثت عن صوت هاني فيها ولم تجده . راحت تنادي عليه . ورشدي يقبض على شعرها بيسراه ويمناه تقترب من عنقها بقطعة زجاج كنصل خنجر . فتحت عينيها عن آخرها بارتياع تحاول اختراق حجب الضباب. وهي تصرخ بأعلى صوتها باسم منقذها. وتحاول التملص من يده ولكن يدًا أخرى قبضت على ذراعها . ثم أخرى طوقت وسطها. تلفتت حولها بذعر وألم رأت وجه ابنتها من وسط الضباب، ووجه أم هاني ومنار . هل يحاولون إنقاذها ؟ أم يساعدونه في ذبحها . نظرت في عيني زوجها المشتعلتين نارًا . وصرخت باسم هاني مرة وأخرى وهي تحاول التخلص من الجميع . وأتاها صوت أبيها صارخا :

- أفيقي يارحمة. أنا أبوك . اهدأي.

التفتت إليه رأته أوضح وكأن الضباب بدأ يتلاشى فصرخت باكية برعب والخنجر الزجاجي يقترب من عنقها:

- أنقذني يا أبي رشدي سيذبحني.

اقترب منها واحتضنها بحنان وربت على ظهرها قائلا :

- اهدئي يارحمة رشدي مات وانتهى . وأنا إلى جوارك. لا تخافي شيئا . إنه فقط كابوس.

نظرت إلى رشدي الذي يتراجع بغضب والضباب يتلاشى مع ابتعاده. وقالت بذهول:

- كابوس !!! كلا. أنا لا أحلم . إنه .....

تلفتت حولها فرأت ابنتها ومنار وأم هاني، وقد بدأت أيديهن تتراخى حولها وبدأت ملامح حجرتها في بيت هاني تضح . أعادت بصرها إلى حيث رشدي فرأته شبحا بلا ملامح ويتلاشى تدريجيا فهدأت أكثر وهي تقول بعدم تصديق:

- كابوس !!! ولكن..... يا الله !!!

فركت عينيها وأنفاسها المتلاحقة تهدأ. إنه حقا كابوس . إنها تقف في منتصف الحجرة وههم يطوقونها وهي بملابسها التي اقترضتها من منار. لا يظهر منها إلا وجهها وكفيها. تلفتت حولها لحظات غير مصدقة . ثم انهمرت في بكاء شديد حتى

تهاوت قدماها، عجزتا عن حملها. فالتقطها والدها بين ذراعيه. وأعادها للفراش، ودثرها بالغطاء إذ كانت تنتفض .

وساد الصمت إلا من صوت بكائها والجميع عاجزين عن قول شيء. والشيخ عمار يربت على كتفها. وانتفضت رحمة بارتياع من جديد. إذ شق الصمت طرقات على الباب وصوت علاء ينادي منار.

أسرعت منار إليه. وسمعته رحمة وهو يقول لها أن جابر أخو رشدي يريد رؤيتها. وقف الشيخ عمار بغضب وهو يقول :

- سأطرد هذا الوغد . هل عدم الإحساس .

قبضت رحمة على معصمه بأنامل رقيقة مرتجفة باردة كأنها قدت من ثلج، وقالت وهي تجفف دموعها بيدها الأخرى:

- كلا يا أبي . سأقابله . أعرف لما أتى .

نظر إليها أبوها بإشفاق وهي تعتدل جالسة وقال :

- يريد أن يتزوجك .

وقفت على قدميها وشدت جسدها بألم وإن لم تنجح في السيطرة على ارتجافها . وقالت بحزم وهي تلملم أعصابها المتناثرة، وتتوجه للمشجب خلف الباب حيث عباءتها ونقابها :

- أعرف . ولابد من قطع هذا الأمر .

ارتدت عباءتها ونقابها على عجل رغم ارتجاف أطرافها. وخرجت إلى الصالة حيث علاء لا يزال واقفا والجميع خلفها يتابعونها بدهشة . أشار علاء إلى حجرة الجلوس وهو يقول بأدب شديد:

- إنه في حجرة الجلوس .

نقلت عيونها بينهم جميعًا لحظات وكأنها تستجمع شجاعتها، ثم قالت بهمس :

- تعالوا جميعا معي رجاءً .

قالتها واتجهت إلى حيث أشار علاء والجميع خلفها . ولجت الحجرة ونبضات قلبها كضربات مطرقة قوية. نظرت في عينيه مباشرة وغضبها يتصاعد وكأنه محمول على موجة بركان، ترتفع، تهم بالانفجار. وقالت بحروف مرتجفة تغلي غضبا :

- اسمعني جيدًا يا رجل .

اعتدل واقفا وهو يقول :

- اجلسي أولا لنتكلم و .....

صاحت بغضب رغم ارتجاف الرعب الذي يسيطر على جوارحها:

- لا كلام بيننا . لقد مات رشدي وقد دمرني ومزق حياتي وخلف جراحا لا تندمل . ولن أكرر الخطأ مرتين.
- أنا لست رشدي.

- طبعا لست رشدي . رشدي بجوارك ملاك . وهل أفسده إللاك؟ أنت ما تسعى إلا إلى امتلاك كل ممتلكات أخيك قبل حتى أن يجف دمه . يا رجل أليس لديك إحساس . أخوك قتيل وابنك قاتله لم تقبض عليه الشرطة بعد، وأنت لا تفكر إلا في السيطرة على كل ممتلكاته حتى زوجته.

قال باستنكار مصطنع:

- أنا.....

قاطعته بحدة وغضب وانطلقت نيران غضبها في جسدها كله:

- أنت لن تحصل علي ولا على شيء من حقي أو حق ابنتي الشرعي . ابنتي لها النصف شرعا وأنا الثمن وأنت الباقي. هذا حقك شرعا لن تنقص ولن تزيد . وزواجك مني الموت أفضل عندي .

هم بقول شيء ما فقاطعته بصوت بدأت راية الغضب فيه تعلو :

- انتهى اللقاء . وانتهى الكلام . هيا ارحل من هنا .

اقترب منها وهو يحدق في عينيها بغضب ذكرها بعيني رشدي في كابوسها وهما تشتعلان نارا، فارتجفت وتراجعت للخلف وتوتر الجميع ووثب علاء يحول بينهما. فنظر إليه جابر باحتقار ثم أعاد نظراته النارية إليها قائلا بصوت شبيه بفحيح أفعى غاضبة:

- انتهى اللقاء . ولم ينتهي الكلام . قولي ما تشائين . ولن يكون إلا ما أشاء . ثروة أخي من صنع أبي. ولن أترك مليمًا منها لك أو لغيرك . وأمامك خياران لا ثالث لهما . إما تقبلين بالزواج مني ، أو تتنازلين عن كل شيء وتعودين إلى بيت أبيك كما خرجت منه. فترة عدتك أربعة أشهر وعشرة أيام . اليوم عشرون ديسمبر ١٩٩٩ ، سأمهلك حتى أول مايو ٢٠٠٠ ، تكون عدتك انتهت ويزيد . وذلك موعد زفافنا أو .....

دفعه علاء من صدره برفق قائلا بصرامة:

- لا أسمح لك بتهديد السيدة رحمة وهي ضيفة في بيتي .

دفعه جابر في غلظة قائلا بصوت غاضب قوي:

- ومن أنت أيها الطفل ؟ اذهب إلى أمك تغير لك الحفاض . ثم تعال كلمني.

هوى علاء على فكه بلكمة قوية طرحته أرضا وصاح بغضب:

- ما دمت لا تحترم البيت الذي أنت فيه وأهله ، فلا احترام لك عندنا .

تراجع الجميع بفزع إلا علاء حين نهض جابر وهو يخرج مسدسه ويسحب صمام الأمان قائلا:

- هذا أكبر خطأ اقترفته في حياتك.

كاد يضغط الزناد لولا اقتحم بدر الغرفة واندفع بسرعة شديدة يشق الجميع فصوب جابر مسدسه إليه ، ولكنه لم يتوقف ووثب و وثب معه علاء وأطلق جابر

النار ولكنها أصابت سقف الحجرة . وتلقى جابر عدة ضربات من الشابين بعد أن انتزعا منه المسدس . أوقفهما الشيخ عمار . وخلصه من أيديهما. وسرى الارتياح في عروق رحمة لقد ذكرها علاء بهاني . وما أن تذكرت هاني حتى سرى الرعب في عروقها من جديد طاردا الراحة . ولم تلتفت لتهديدات جابر ووعيده وهو يرحل . وعقلها وقلبها يتساءلان ماذا يحدث لهاني في هذه اللحظة؟ انتبهت لبدر يقول لهدير:

- سأذهب لهاني وشهاب. لن يمكنني أن أجلس هنا وأتركهما وحدهما .

أسرعت رحمة تقول دون تفكير:

- وأنا سآتي معك.

التفت إليها الجميع بدهشة. فأسرعت هدير تقول لتغطي على ارتباك أمها:

- و أنا أيضا . نريد أن نحضر متعلقاتنا من الفيلا. لأننا سنعيش في بيت جدي . وكل أشياءنا لا تزال هناك.

نظر الشيخ عمار إلى بدر قائلا بخليط من الغضب والدهشة :

ومن هذا الشاب الذي ستغادران معه ؟ أنا لم أره من قبل.

التفتت هدير إلى جدها قائلة بسرعة ودون تردد وكأنها كانت تتوقع السؤال :

- كان هو وشهاب الحارسان الشخصيان لأبي رحمه الله . وظفهما لديه قبل موته بيوم واحد . وكلفتهما أمي بمواصلة العمل لدينا لحمايتنا من عمي جابر .

نظر عمار إليهما بغضب وحيرة ثم قال بعد برهة من الصمت:

- سآتي معكم إذن .

انطلق الأربعة في سيارة أجرة إلى الفيلا. وثب منها بدر ما أن وقفت وانطلق عدوا بكل قواه إلى حيث الفيلا المهجورة مباشرة . بيته الذي عاش فيه السنوات الأخيرة من عمره . وثب متجاوزا البوابة المحطمة وعيناه تجوبان الفناء الواسع الذي كان يوما حديقة غناء . والتقطت أذنه صرخة ألم مكتومة خرجت من فم هاني حاول كتمانها عندما اخترق سيف سام صدره .

تسمر مكانه وعيناه على سيف هاني وهو يشق طريقه في الهواء نحو عنق سام الذي حاول التراجع ولكن قبضة هاني كانت تقبض على معصمه الممسكة قبضته بالسيف. واجتث سيفه عنق سام . اجتث نصفه الأمامي فانطلقت الدماء تتناثر في الهواء. ولكنه انتزع سيفه من صدر هاني بقسوة . ورفعه عاليا ليهوي به مرة أخرى على عنق هاني فانطلق بدر بكل ما أوتي من قوة ووثب على أخيه سام ممسكا بمعصم اليد الممسكة بالسيف واحتضنه وضربه في السور الفاصل بين الفيلتين بقوة . وارتدا عنه ساقطين على الأرض.

وقف الشيخ عمار مبهوتا ينقل بصره بين شهاب فاقد الوعي الغارق في دمائه، وياسر فاقد الوعي المضرج في دمائه، وهاني وهو يسقط مترنحا تنفجر الدماء من

موضع الطعنة في صدره. وبدر وسام اللذان هبا واقفان في سرعة وسام تتناثر الدماء من عنقه وإن لم يبد متأثرا من جراء جرحه القاتل . انقض عليه بدر صارخا:

- لماذا لا تمت أيها الحيوان؟

تفادى انقضاضته موجها طعنة إلى قلبه مباشرة صرخت لها هدير وكأنها اخترقت قلبها هي. واندفعت نحوهما بغير تفكير وأمها تندفع نحو هاني الذي يحاول النهوض من جديد على الرغم من آلامه. ثم قال بصوت كالفحيح تتناثر الدماء من عنقه مع حروفه:

- بل أنت من سيموت يا أخي العزيز.

انتزع السيف من قلب بدر وهوى به مرة أخرى على عنقه فذبحه وألقاه على هاني الذي كان يحاول الوصول إليهما ، فسقطا أرضا . ترنح سام وقد شحب وجهه وهدأ تدفق الدماء من عنقه، ولكنه اقترب من هاني وبدر الذي استقر جثة هامدة فوقه . ورفع سيفه ليهوي عليهما بطعنة قاتلة ولكن هدير وصلت ووقفت بينه وبينهما وهي تصرخ . نظر إليه لحظات وعيناه زائغتان . ثم ألقى بنفسه عليها. احتضنها وسقط بها أرضا ودماؤه تتدفق على وجهها. ومع دمائه خرج جسيم صغير كحبة سمسم ، اندفع إلى فمها مباشرة ومنه إلى أحشائها.

(١١) الختام

استعاد شهاب وعيه دفعة واحدة منتفضا في فزع انتفاضة فجرت الألم في كتفه الأيمن . فأغمض عينيه من شدة الألم وأرخى جسده تدريجيا ، وعقله يجري مسحا سريعا على جسده. إنه راقد على فراش وجبائر وضمادات تحيط بصدره وعنقه تمنعه من أي حركة. فتح عينيه وأصوات غير واضحة على مقربة منه. لم ير بوضوح في البداية. ولكن سرعان ما اتضح كل شيء. ضابط شرطة يقف بينه وبين الفراش المجاور له ويقول لصاحب الفراش:

– لقد تحققت من قصتك بالفعل . وكل ما ذكرته يتوافق مع محاضر شرطة لأصحاب ذلك البيت. ينقصنا فقط تقرير الطبيب الشرعي عن الجثث الثلاثة.

خفق قلب شهاب وعقد حاجبيه في قلق شديد وفتح عينيه و وهو يسأل نفسه: لمن الجثث الثلاث. لا يعرف منهم إلا سمير . فمن الآخران ؟ هل هما هاني وصديقه. نظر إلى الراقد على الفراش المجاور ولكن ضابط الشرطة كان يحجب رؤيته. فأتى الصوت عليه كريح طيبة أسكنت كل جوارحه. وبثت فيها الدفء والراحة:

– هل ماتا تماما؟ أقصد موتا فعليا ؟

قال الضابط بقلق حقيقي:

- ما لدينا بالفعل جثتان وبقايا جثة. فلو صح قولك بأنهما للأخوين غريبي الأطوار. فهما بالفعل ماتا ، ولكن..

صمت برهة وكأن القول ثقيل جدا على لسانه:

- ولكن هل يعني هذا أنهما لن يعودا ؟ أتعرف ماذا أتمنى ؟

أجابه هاني مبتسما:

- نعم أعرف.

اندهش الضابط وشهاب أيضا وهو يحاول أن يستنبط ما يتمناه الضابط الذي سأله مبتسما بمرارة:

- حقا؟!

- تتمنى أن أكون كاذبا. ويكونا رجلين طبيعيين .

- ولكني أثق بك للأسف . لا أدري لماذا. تبدو لي صادقا. على كل حال سأوافيك فورا عندما يصلني تقرير الطبيب الشرعي.

قالها واستأذن وانصرف. فقال شهاب بامتنان حقيقي عاجزا عن الالتفات إلى هاني:

- حمدا لله على سلامتك يا صديقي. كيف تغلبت على هذا الشيطان ؟

بدا الحزن واضحا في لهجة هاني وهو يقول:

– رحمة الله وعونه يا صديقي. أنا أضعف من أن أنتصر عليه. لقد اكتسب هذا الشيطان كل مهاراتي في المبارزة، ومهاراتك في الكنغفو، وقوة ذلك الحارس الشخصي. ولكنها رحمة الله بنا. ولكن .....

ازداد صوته حزنا وانحدرت دمعة من عينيه بللت الوسادة . نظر شهاب إليها بدهشة أولا ثم انتبه إلى الجثة الثالثة . وانتبه للفظ الأخوين. هل هو بدر؟ ومتى أتى ؟

قال هاني بصوته الحزين:

– لقد ضحى بدر بحياته من أجلي.

جرت دموعه أغزر حتى بللت وسادته. فقال شهاب بصوت تداخل معه الحزن أيضا:

– ما الذي حدث بالضبط يا هاني لقد فقدت وعيي عندما اخترق سيف الوحش الشيطاني هذا صدرك.

أغمض هاني عينيه بمرارة وكأن تلك اللحظات مازالت تدور أمام عينيه:

– ما فاتك وقت قصير جدا. لا يتجاوز دقيقة أو اثنان على الأكثر ولكن ضاعت فيه حيوات وبقيت أخرى.

– هذه سنة كونية يا أخي. كل دقيقة تمر علينا. يموت فيها مئات أو آلاف ويولد فيها المثل وينجو فيها من ينجو حتى ينفد عمره.

قالها شهاب وصمت وطال الصمت حتى ظن هاني لن يتكلم ولكنه أردف بحزن:

– لقد شعرت بقوايا بدأت تخور . فتسرب إحساس بالعجز إلى قلبي. فذلك الشيطان لا يفتح لي ثغرة أبدا مهما شددت عليه بالهجوم. حتى وإن حدث لا أتمكن من استغلالها لسرعته. فلجأت لخدعة، أن أترك أنا له ثغرة لا يمكنه تجاهلها وأتصيده في حال هجومه. وكان هذا ينجح معي دوما ودون أن أصاب. ولكن مع هذا فشلت في تفادي طعنته ولكن نجحت في ضربتي وقطعت عنقه. وخارت قوايا تماما في هذه اللحظة وقد ظننت أن الأمر انتهى ولكنه انقض علي من جديد ولولا تدخل بدر في هذه اللحظة. لكنت الآن جثة هامدة.

نظر شهاب عبر فراش هاني للفراش الثالث قائلا:

– الحمد لله على كل حال. والحمد لله على نجاة صديقك. كيف حاله؟

التفت هاني إلى ياسر قائلا:

– ياسر بخير والحمد لله. إنه رجل حقيقي . لقد من الله علي بكما. في هذه الأيام العصيبة.

هم شهاب بقول شيء ما لولا ارتفعت طرقات على باب الغرفة. فسأل هاني:

- منذ متى ونحن هنا؟

قال هاني وهو ينظر إلى الباب بشغف لقد تحرك قلبه فجأة وفرد صورة عيني رحمة أمام عينيه وهتف باسمها:

- ادخل.. يامن بالباب. ليس كثيرا يوم ونصف فقط.

لاحظ شهاب اختلاف ملامح هاني فقد خفت فيها الحزن قليلا وومض فيها الحب والشوق وهو يتطلع إلى الباب الذي يفتح بهدوء وولج منه الشيخ عمار وابنته رحمة.

قال الشيخ عمار بعد أن ألقى التحية :

- الحمد لله على سلامتكم جميعا.

تعلقت عينا هاني بعيني رحمة لحظات كانت كافية لتذر آلامه وأحزانه كلها في الهواء . خفضهما حياءً بعدها وقلبه يخفق فرحا وكأنما يحلق في سماء السعادة وهما يقتربان. وعجز لسانه عن النطق فأسرع شهاب يقول وقد فطن لم يعتري صديقه:

- كيف حالك يا شيخ عمار؟ وكيف حالك يا سيدتي ؟

جلس الشيخ عمار على حافة فراش هاني عند قدمه. وظلت رحمة واقفة بجواره خافضة بصرها وهو يقول:

- المهم أنتم يا بني. أنتم أبطال حقيقيون. بارك الله فيكم. لولم تظهروا في حياتنا. الله وحده يعلم . ما الذي كان يمكن أن يحدث.

رفع هاني بصره للشيخ عمار قائلا بارتباك:

- وكل شيء خلقناه بقدر. نحن سبب.

ربت الشيخ عمار على ركبته قائلا:

وهذا لا يمنع كونكم رجالا بمعنى الكلمة.

قال شهاب موجها حديثه لرحمة:

- لقد حاول جابر أخو رشدي بيك رحمه الله السيطرة على الفيلا يا سيدتي وترك فيها حارسه الشخصي قبل أن يلقى حتفه. ماذا حدث الآن؟

- قالت دون أن ترفع بصرها:

- الفيلا ملكي أنا وليست جزءا من الميراث . لقد وهبها رشدي لي منذ حملي في هدير. ذهبت هناك لآخذ متعلقاتي وابنتي فوجدته. أبلغت الشرطة وطردته.

قال الشيخ عمار بمقت:

- هذا الحقير لم يؤثر فيه قتل أخيه وابنه إلا بإرواء طمعه وجشعه. فانطلق يريد الاستيلاء على كل ممتلكات أخيه حتى زوجته لتتم له السيطرة الكاملة.

انطلقت هذه الكلمات كقبضة معدنية باردة اعتصرت قلب هاني بقسوة. فرفع عيناه فزعتين بفزع لم يشعره وهو يواجه الوحش. وتطلع إلى رحمة التي تخفض رأسها فاختفت عيناها مع باقي جسدها. وقال بوجل:

– كثير من الناس يفعل ذلك . يتزوج أرملة أخيه ليحا.....

قاطعه شهاب بمقت:

– ليس هذا يا هاني أنت لم تره بعد . إنه كتلة متحركة من الجشع. شخص بغيض حقا.

قال الشيخ عمار :

– لقد كان خطأ عمري ودفعت ابنتي ثمنه. ولن أكرره ثانية ولو خضت حربا ضروسا. ولو كان في ذلك حياتي.

قالت رحمة بصوت أعاد الحياة لقلب هاني الذي كاد يحتضر:

– لقد رفضته رفضا قاطعا. وطردته من بيتك أيضا. لقد جاءنا هناك.

ابتسم هاني وهو يسأل نفسه : لماذا كل هذا الانفعال ؟ إنه يحبها. لا إجابة إلا هذا. لقد سقط رغم عنه. حاول يقاوم. ولكن موجة حبها كانت عالية عاتية. لم يصمد أمامها. كسرت صموده. أحبها رغم قصر مدة معرفته لها. أحبها رغم فارق السن. ورغم كونها أرملة وأم لابنة في السادسة عشر من عمرها وهو لم يتجاوز الثاية والعشرين.

المشكلة هي: هل هي تحبه؟ رفع عينيه إلى عينيها طالبا الإجابة. والتقت عيناهما ورأى الإجابة واضحة فيهما:

- نعم أحبك أيها الأحمق. ولم أذق طعم السعادة والأمان إلا عندما رأيتك.

مزق شهاب هذه اللحظة بقوله:

- وهل ستعودين للفيلا مرة أخرى؟

أجابه الشيخ عمار وهي تخفض بصرها:

- كلا سيعيشان معي لفترة. ثم ينتقلان وأنا معهما للعيش في مدينة المملكة. مدينة جديدة بالقرب من القاهرة . بناها رشدي رحمه الله مع أربعة شركاء آخرين. ووضع فيها كل ثروته. وبدأ سكانها ينتقلون للعيش فيها الآن.

قالت رحمة دون أن ترفع بصرها:

- وأنت يا أستاذ شهاب في عملك معنا كما أنت. إن لم يكن لديك مانع.

شعر هاني بالغيرة أو بالحسد لكون شهاب سيظل بقربها وهو لا. سيطر على هذا الشعور وهو يقول مازحا :

- لا أظنه أنه يصلح بعد ما ذاقه .

قال شهاب مازحا بدوره:

- غدا سترى.

تكلم ياسر لأول مرة قائلا:

- والفيلا يا سيدتي ماذا ستفعلين بها.

قالت دون أن ترفع بصرها إليه:

- لا أدري.

نظر إليه هاني قائلا:

- لماذا لا تشتريها يا ياسر ؟

ابتسم ياسر وهو يعتدل نصف جالس:

- وكأنك تقرأ أفكاري . أم ترسم على سمسرة.

- كلك نظر يا ياسر باشا.

قال الشيخ عمار بجدية مبتسما:

- هل تريد أن تشتريها حقا؟

- أنا بالفعل كنت أبحث عن بيت جيد لأتزوج فيه. فأنا خاطب وزفافي بعد ثلاثة أشهر. وشغلتني البطولة.

قالت رحمة بابتسامة بدت واضحة في صوتها:

- يمكنك أن تقابل مدير أعمالي وتتفق معه وتتم البيع . اندهش هاني من الكلمة . منذ متى ولها مدير أعمال. منذ متى ولها أعمال أصلا. إنها لم تتسلم ميراثها بعد.

أوحت له ابتسامتها أنها تقصده. وما كاد هذا الخاطر يدنو من مخيلته حتى ابتهج قلبه و زال ألمه . فاتسعت ابتسامته وهو يسألها:

– ومن هو هذا المدير إن شاء الله ؟

أجابه الشيخ عمار مبتسما:

- أنت، إن وافقت طبعا . ليس الأمر فرضا.

قالت رحمة بسرعة :

– بل فرض يا أبي. ليس لنا إلا هو. فليس له حق الرفض.

ارتبكت بعد قولها هذا وخفضت رأسها وهاني يقول :

– ولكن أنا امتحاناتي الأسبوع القادم. ومازال هناك فصل دراسي آخر و ...

قاطعه شهاب:

– طبعا هذه موافقة.

تم الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثاني

بإذن الله

دار نبـوغ للنشر والتوزيع